أجراس بيت لحم

« هذه لكم العلامة ، تجدون طفلا مقمطا مضجعا فى مذود »*

هذه الذكريات والتأملات تلازمنى كل عيد ميلاد ، أتصورها بالخيال وحده ، وان كانت الحقيقة ذاتها أعجب من كل سحر وخيال ! الليلة التى لم يكن أسعد منها ، حيث المشهد العظيم . السماء تعانق الأرض ، واللاهوت متحدا بالناسوت فى الاحشاء المريمية الطاهرة ، ليحل بيننا !

وكانت العلامة المتفق عليها بين الملائكة والرعاة ، هى طفل . . وقماط . . ومذود !

لم تكن هناك عروش ، ولا ثياب ناعمة ، ولا قصور أو ولائم فاخرة ! أين المهد الموشى بالذهب الخالص أو العرش المزين بالبهاء والعظمة ؟ أين أبواق السادة وحلة الرضيع ، أين ولائم السعادة وضيوف الشرف ؟ لم يكن شىء من هذا ، بل مذود وقماط لمولود بيت لحم !

تعالوا معى أيها البشر ، فنتعلم حكمة الدهور من بيت

---

* انجيل القديس لوقا ٢ : ١٢ .

لحم . فانه من بيت لحم الصغرى المتواضعة خرج ملك وديع ومتواضع القلب ، ليملك على عروش حية هى القلوب التى أحبته . ومن بيت لحم نبتت حبة الحنطة ، وصارت ثمرا متكاثرا فى المسكونة بأسرها ، وخبزا حيا باقيا للحياة الأبدية . ومنها أشرق للمجوس والرعاة كوكب رائع فى السماء ، كوكب الصبح المنير ، منيرا بنور ساطع المذود الصغير .

وجد يسوع مضجعا فى القش المتواضع ليسند رأسه ويستريح . فكان هذا عرشه المحبوب ، ليملك منه على جماهير البسطاء والرجاء والمساكين بالروح ! وزاره أصدقاء أوفياء وشهود أمناء ، قطيع من الرعاة الساهرين ومن المجوس الغرباء . وسبح له جمهور من الجند السماوى ، تسبحة لم يستمع البشر حتى يومنا هذا ، إلى أنشودة لها مثل عذوبتها ولحنها ورقتها.

هذه كلها اذن كانت « العلامة » ! الجند السماوى ، الرعاة الساهرون ، قطيع الماشية ، بيت لحم الوديعة ، ثم المذود والطفل والقماط ! أيها الغنى ، هنا سيد الأغنياء افتقر ، كى يستغنى بفقره الملايين ! أيها الملوك ، هنا ملك الملوك ورب الأرباب ، بدا فى صورة العبيد ! أيها السادة المرتفعون ، هنا رب الأعزاء ، نزل عن الكراسى وجلس مع المتضعين !

أيها العالم الكبير ، هنا ولد من كانت له القوة أنه سيغلب العالم . أيها التاريخ ، فى المذود مولود استطاع أن يجعل كل أيامك تتبعه . . أيتها الحضارات ، أعبرى وتلاشى أمام بيت لحم ، فكل حضارة تمضى وتذبل ، وتبقى بيت لحم إلى دهر الداهرين ! انسحقت المادة والشهوة وتعظم المعيشة ، تحت المذود . خزيت حين انصتت للملائكة ، وارتدت أمام ضيوفه المتواضعين من شهود عظمته .

أما أنقياء القلب والمساكين بالروح ، والودعاء وصانعو السلام ، فلهم فرح لا ينطق به ومجيد . فان مولود بيت لحم سيجد مكانا مريحا ليضجع فيه تحت سقوفهم ، وعلى موائدهم ، وفى أعماق قلوبهم الطيبة !

نبوات المجوس

« وقدموا له هدايا ، ذهبا ولبانا ومرا » *

هدايا عيد ميلاد يسوع ! قدمها له مجوس غرباء من المشرق ، لأنه إلى خاصته جاء وخاصته لم تقبله !

القوا الذهب عند موطىء قدميه ، والذهب تاج هامة الملوك ، متنبئين أن المولود البارع الجمال ، سيتوج ملكا وأى ملك ! أيها الطفل الصغير ، أنت أيضا ملك ! ملك الملوك ورب الأرباب ، الألف والياء ، البداية والنهاية ، الذى ليس لملكه زوال ولا انقضاء . وحتى إذا اضجعوك فى المذود الحقير ، وركبت الاتان ، ورفعوك فوق خشبة الصليب ، تبقى أيضا ملكا ! بلا مملكة فى العالم ، مفتقرا ليستغنى بفقرك الكثيرون ومقتنيا لذاتك الطاهرة ذهبا نقيا بخلاص البشر .

وقدموا لبانا عند قدميك المقدستين ، متنبئين عن كهنوتك كاهنا أعظم على طقس ملكى صادق ، وخادما للأقداس والمسكن الحقيقى الذى صنعه الرب لا انسان . وكان لبانه أعظم مما تنبأ به المجوس الطيبون ، فان رائحة بخور زكية نقية

* انجيل القديس متى ٢ : ١١ .

ومقبولة ، قد ارتفعت حقا من اللبان المحترق ، من دمه المهرق المرشوش تحت ذبيحة نفسه المسكوبة .

وقدموا له مرا متنبئين عن مرارة حياته القصيرة ، فى أرض اللعنة والطغيان . ماذا كان ينتظرك أيها المولود فى مذودك الصغير ؟ مرارة نفسك الرقيقة ، وكأس علقم لقلبك الكبير ، وجرعه من الخل لشفتيك الطاهرتين ! لم تكن فى حياتك ابتسامات بل صفحة طويلة من ألم وحزن ودموع ، من أجلى ومن أجل كل نفس بشرية خاطئة . فى بداية حياتك أهداك المجوس مرا ، وفى خاتمة لحظاتك أهداك عالم الهوان مرا ، عندما قدموا لك خلا ممزوجا بالمرارة لتشرب على الصليب وقت أن ناديت « أنا عطشان » !

هذه كانت هدايك الثلاثة ، الذهب واللبان والمر . ولم يكن للذهب مكان فى قلبك المتواضع ، وكان لبان كهنوتك روحيا خالدا . أما المر — والمر وحده — فهذا شربت كأسه بسرور ، قبلته بالرضا ، وتذوقته بالشكر !

يسوع مجربا !

« ثم أصعد يسوع إلى البرية من الروح ليجرب من ابليس »*

أربعون نهـــارا وأربعـــون ليلة ، قضاهـــا يسوع فى جوع وعطش ووحدة قاسية ، فى شمس النهار الحارقة وزمهرير الليالى الباردة ، ومع الوحوش والضوارى . اقتاده الروح العظيم من شواطىء الأردن المجيدة إلى بقعة موحشة ، ومن الاعلان المجيد والمعمودية المباركة إلى القفر ، ومن السماء المفتوحة والمياه النقية والصوت الالهى يناديه « ابنى الحبيب الذى به سررت اختطفه الروح مباشرة إلى البرية ! وكان هذا الاعداد الروحى جوهريا ، فى بداية أعظم خـدمة قامت بين البشر . فقد اعتزل يسوع بالروح فى شركة روحية وصلاة مع الآب ، ليعد ذاته لساعات تلك الخدمة الفائقة العقل ، وهناك سمحت المشيئة الالهية أن يجرب قبل خدمته الخالدة .

وقديما جرب آدم الأول فى بستان وفردوس ، فى كفاف وشبع وسرور واستقرار ؛ فلم يكن أمينا فى الولاء لخالقه وسقط فى التعدى . ثم جاء ابن الانسان آدم الثانى ، فأخذ مما

---

* انجيل القديس متى ٤ : ١ .

لنا واشترك فى اللحم والدم مشابها اخوته فى كل شىء ما خلا الخطية . وجرب أيضا لا فى بستان أو فردوس ، بل فى برية وقفر ووحدة ، وانتصر ليبقى فى النهاية بلا عيب أو دنس غير ممسك فى خطية واحدة . ليسقط الشر أمامه مثل البرق ، وليخلص المغلوب من سيادة رئيس سلطان العالم ، جاعلا .. أعداءه عند موطىء قدميه وساحقاً رأس الحية القديمة تحت عقبيه !

دخلت النار المحماة إلى الذهب ، فخرج منها الذهب أكثر نقاوة وجمالا . وعبرت غيوم قاتمة حالكة على السماء الزرقاء الصافية ، ثم جازت الظلمة وعادت السماء أكثر صفاء وروعة. هكذا كانت نفسه الصافية الطاهرة ، قبل التجربة وبعدها .

أربعون يوما وليلة ، كان مع الوحوش والضوارى فلم تضره ! ان البراءة والوداعة قد انعكست على الضوارى ، فأماتت غرائز الوحشية والكراهية المتوارثة . فان تلك العداوة التى تأصلت بالوراثة بالغرائز ، قد دعت إليها القسوة والكراهية التى أدخلتها الخطية فى العالم . وما أكثر الأمثلة فى تاريخ الكنيسة لرجال الله الأبرار ، وقد سدوا بوداعتهم أفواه الأسود الكاسرة ، فرضيت بالجلوس تحت أقدامهم فى سلام ووداعة !

وإذ كان فى شركة عميقة مع اللاهوت، ووجدانه وحواسه ملتهبة بهذه الخدمة الاعدادية الفريدة ، فانه تغاضى عن طعامه الأربعين يوما بطولها ، وفى نهايتها جاع . فتقدم إليه أبليس المجرب ، ليوسيفر المتكبر الساقط قبل الخليقة ، رئيس سلطان الهواء والحية القديمة فى الفردوس . تقدم صاحب الرئاسات قتّال الناس منذ البدء ، الكذاب الأول والأخير ، الذى لا تهدأ روحه الهالكة عن الجولان فى الأرض والتمشى عليها ، ليفسد الحياة الهادئة ويشتكى على المختارين .

وكانت تجربته الأولى هى تجربة الحواس البشرية ، أضعف ما فى الانسان . فان اشباع الحواس البشرية ، كالجوع والعطش والنوم والتعب ، يمثل أضعف ما فى التكوين البشرى. وكان ظاهر التجربة — ان يصنع يسوع خبزا — يبدو بريئا وبسيطا ، فان اشباع الجوع ليس خطية . وقديما جاع أسرائيل المتعب فى البرية فأكل المن والسلوى، وجاع ايليا فى البريا فمسه الملاك ليأكل ، وعطشت هاجر الجارية الهاربة فأقامها الملاك لترى عطشها من البئر . وما كان عسيرا على يسوع أن يقيم وليمة طعام فى وسط البرية من الأحجار عينها ، لأجل شبع الجسد . أما يسوع فكانت كلماته تقطر بالحكمة والعمق .

أن طعامه الأول أن يفعل ارادة الآب « فليس بالخبز وحده يحيا الانسان بل بكل كلمة تخرج من فم الله » .

أليست الحياة أفضل من الطعام ؟ فالجسد منظر أما الروح فجوهر ، والجسد مخلوق للروح وليس الروح لأجل الجسد، ولذلك كان من الضرورى للرب يسوع أن يضع الأمور فى نصابها . قال الشريران الخبز وحده يشبع الجوع ويقوت الحياة ، الخبز أولا وأخيرا. نأكل لنعيش أو نعيش لنأكل، فلنأكل اليوم ونشرب لأننا غدا نموت . أما الرب يسوع فيقول « ليس بالخبز وحده » ، فان أكلنا لا نزيد وان لم نأكل لا ننقص . فلا تجعلوا آلهتكم بطونكم ، ولا تتخموا بالخبز البائد بل بطعام الحياة الأبدية . هذا هو الخبز الحقيقى الذى كل من يأكل منه لا يجوع ، وينابيع المياه التى كل من يشرب منها لا يعطش .

وهكذا انتصر يسوع ، فرفض أن يبيع بكوريته المجيدة لأجل أكلة .

+ + +

أما التجربة الثانية فكانت امتحانا لعدم الانحراف الروحى.

جربه ابليس فى حواس بشريته أولا ، ثم إنتقل بعدئذ إلى طاقته الروحية . فقال له المجرب ان كنت ابن الله فالق نفسك إلى أسفل ، فانه مكتوب فى سفر المزامير انه يوصى ملائكته بك فعلى أيديهم يحملونك ، كى لا يصدم بحجر رجلك . الظاهر برىء كالعادة ، لكنه يخفى خبثا ورياء لأنه يفصل كلمة الحق بغير استقامة . فالدافع الوحيد الذى كان المجرب يرمى إليه من وراء هذه الآية ، ليس تمجيد يسوع بل هو انحرافه عن خدمة التواضع إلى سيادة الكبرياء والذات .

كان الشرير يطلب آية ، ولا تعطى له آية ! فان مجد يسوع الحقيقى بالآلام لم تأت ساعته بعد ، وليكون للمؤمنين بآياته وتعاليمه حياة أبدية باسمه . لذلك أجاب يسوع ، مكتوب ايضا « لا تجرب الرب الهك » . هذا وقد جربه الشرير مرة أخرى على الصليب بنفس الوسيلة ، بنداءات الجموع العابرة « إن كنت أنت ابن الله فأنزل عن الصليب لنرى ونؤمن » . ولكن مثل هذه الآية كانت ستعطل مقاصد الفداء الازلية وخلاص البشرية ، الذى كان محتما فيه موته على الخشبه وقيامته فى اليوم الثالث .

وانتصر يسوع ثانية حين فضل الصليب وبقى أمينا للمقاصد العليا فى خدمته وآياته .

+ + +

ثم جربه أبليس ثالثا فى رسالته وأهدافه . فمن قمة جبل عال شاهد يسوع فى لحظة فى طرفة عين « جميع ممالك العالم ومجدها » ! عاين حضارة مصر وشموخ بابل ، وسلطان أثينا وكبرياء روما . لمس أمجاد الشعوب والأمبراطوريات الماضية ، والسيادات والرئاسات الآتية ، كل الحضارات القديمة والمعاصرة والحديثة وعظمتها عبرت تحت ناظريه ، وهو مجرب !

وكان عليه أن يختار لنفسه أحد أمرين لا ثالث لهما ، إما أن يملك ويسود بالأمجاد الأرضية التى عاين بهاءها ، فيعطيه إله هذا الدهر ملكا أرضيا ورئاسة على ألوف الملايين ، فى الشعوب والممالك . واما أن يختار لنفسه خدمة متواضعة ، كملك بلا مملكة فى العالم ! عرشه على الصليب ، وتاجه الشوك ، صولجانه القصبة ، وعلامته « الناصرى ملك اليهود » . أتباعه من الضعفاء والعامة والمزدرى بهم وغير لموجود ، منظرا

للعالم والناس والملائكة ،ومن المساكين بالروح والرحماء والحـزانى ، والودعاء وأنقيـاء القلب وصانعى السلام والمضطهدين لأجل البر !

كان عليه أن يختار احدى المدينتين ! وملكا واحدا من المملكتين ! وهنا انتصر يسوع فيما فشل فيه آدم فا ختار لنفسه المملكة الثانية ، بكل أشواكها وبساطتها وتواضعها ، ورفض الملك الأرضى وسيادة أهل العالم ! فضل بالحرى أن يذل مع شعب الله ، معلنا أن « مجدا من الناس لست أقبل » ، فاستطاع حقاً أن ينهر المجرب بقوة « أذهب عنى يا شيطان فانه مكتوب للرب الهك تسجد واياه وحده تعبد » .

+ + +

واليوم لازال أبليس يجرب الانسان الفقير بالمال والثراء والمريض بطول البقاء ، والمحتاج بالربح ، والجائع بالخبز ، والمغلوب على أمره بالشهوة وتنعمات المعيشة . يجرب الشيطان أهل الأرض كلها ، لقاء سجودهم لسيادته ورئاسته ، ولكنه لا يعطى الراحة والسلام والبر ، لأنها ليست له !

وماذا ينتفع الانسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه ؟

من الأعماق

« أبعـــد إلى العمـــق » *

هناك عند شاطىء البحر سارت قدماه وجموع من الناس تتدافع على الرمال لتنصت إلى عبارات النعمة فى فمه ، بسلطان طاهر طغى على رياء الكتبة ونفاق الفريسيين .

أما هو فثبت على عينيه على سفينتين للصيد على وجه المياه ودخل أحداهما ، ووجـــه قلبه الكبير إلى الرجال الأربعة الواقفين عليها . وتأمل واحدا منهم بالذات كان يبدو عليه الكفاح والضيق ، وهو يغسل الشباك الفارغة ويعرضها للشمس اللافحة جبينه المتقطب وعرقه الغزير !

نظر المعلم إلى سمعان صاحب السفينة نظرة فاحصة عميقـة ، نظرة من بيده أمرنا ، العالم بأفكار القلب ونياته ، والذى كل شىء عريان ومكشوف أمامه ! وبهذه النظرة الطيبة الرقيقة التى تبادلها معه ، علم يسوع بحاجة سمعان إلى

---

* انجيل القديس لوقا ٥ : ٤ .

اليـد الالهية ، وللوقت قدم له رسالة الانجيل العظيمة قائلا: « أبعد إلى العمق . . والقوا الشباك للصيد » !

عبارة كلها سلطان وجلال وثقة! وبهذه العبارة أيضا يوجه الرب إلينا رسالته اليوم وإلى هذه الساعة ! فكما أن الحياة البشرية هى ثمرة عرق الجبين وكفاح ومشقة ، كذلك حياة الروح واقتناء النفس هما ثمرة تعب ومجاهدة كثيرة . مثلها مثل سفينة صغيرة للصيد ، وسط بحر صاخب وليل مظلم ، ومثل القاء شباك كثيرة فى المياه . بين جذب وشد ، أمل ويأس ، نجاح وفشل ، شبكة مثقلة بالصيد الوفير ، أو بفراغ وفشل مرير .

وهذه هى قصة اقتناء النفوس وخلاصها ، قصة سفينة حياتك وشبكة رجائك . هى قصة صيد النفس البشرية من محيط العالم إلى شبكة ملكوت السموات العظيمة . تلك التى ألقاهـــا الرب يسوع بيديه ليصطاد نفوس الناس من كل الشعوب فى المشارق والمغارب ، برسالة الصليب واستنارة الانجيل المفرحة !

فان أردت أن تجد نفسك وتتصيدها من ضلال بحار العالم ،

وان أردت اصطياد نفوس الآخـــرين أيضا إلى ملكوته ، فاستمع إليه وهو يقول بلطف « أبعد إلى العمق . والق الشباك» إلى العمق أولا بسفينة صيدك الصغيرة ، فليس مكانك المياه الضحلة الراكدة عند الشاطىء ، بل المياه العميقة المرتفعة الجارية ، فى عمق الحياة وعمق العمر وعمق الاختبار . فاقتناء نفسك ليس أمرا سطحيا ، بل خبرة عميقة وسط أمواج الحياة الانسانية . وإذا اجتزت إلى عمق المياه وعمق التجربة بسفينتك الصغيرة ، فهناك الق الشباك وانتظر الصيد ، وليكن لك كحسب ايمانك . وكيفما كان النصيب ، فلا تقل فى نفسك إلا « آمـين يارب » .

وقد أجاب سمعان بضيق واضح وبلهفة ، « يا معلم قد تعبنا الليل كله ولم نمسك شيئا » ! ما أقسى هذه الحياة ، وما أكثر شقاء الأرض الملعونة . قد تزرع بجد واجتهاد ، قد تفلح وتغرس وتقلع ، ثم تنتظر الحصاد برجاء . ولكن وأسفاه يكون زوانا ، زهرا يابسا ، وعشبا فى جمال منظره !

ولهذه الشكوى نظير فى حياة الروح واقتناء النفوس -

فقد تتعب الليل كله وسط الظلام والريح والبرد ، وتبقى شباكك فارغة . قد تسهر مع الرسول فى أصوام فى أتعاب ، فى صلاة فى عبادة ، فى أسفار فى ضيق الجسد والروح ثم تحس كأن الله تخلى عنك ، وتباعد ليتركك وحيدا ، وتبقى سفينة صيدك تائهة فى بحر واسع تدفعها الريح حيثما تشاء !

« ولكن ! على كلمتك ألقى الشبكة » !

أيها العزيز ، ان كنت تشعر باحساس سمعان ، فى سفينة صيدك المتجولة فى غربة العالم هذا ، فلا تيأس لأن الله لم يعطنا روح الفشل . بل ردد بطاعة وعزم وأمل ورجاء ، « مهما كان نصيبى فلن أقول ألا آمين ، وعلى كلمتك ألقى الشبكة » .

فان الرب قريب ، إلى جوارك فى السفينة وان كنت لا تراه وتبصره ، هو ساهر معك فى الليل ، يختبر طاعتك وصبرك وأناتك واحتمالك ، كى يتمجد فى النهاية ايمانك وتتزكى نفسك !

+ + +

وتعتريك حينئذ الدهشة وأية دهشة ، مع كل فى الذين كانوا فى السفينة . صارت الشباك تتخرق من كثرة الصيد الوفير ، حتى أنه من ثقل الحمل ابتدأت السفينتان فى الغرق ! وعندئذ صاح سمعان وهو يجثو على ركبتيه « اخرج يا رب من سفينتى لأنى انسان خاطىء » !

وهذا سر عظمة ذلك الصياد البسيط . أدرك ببساطة أن الفشل وعدم اقتناء صد طوال الليل ، مرجعه الأول والأخير أنه إنسان خاطىء ، أمام المعلم الطاهر الكامل والممجد . وهناك فى السفينة الصغيرة ، كان سمعان يعترف الاعتراف الحسن ، فى النور الذى يشع من طهارة المعلم الجالس عند الدفة . فاستحق باعترافه أن يحصد مما زرع ، من تعب نفسه المحتاجة ومن كفاح ساعديه المنهكين ! وامتلأت السفينة بعد فراغ ، إذ أمسك كل شىء من عطاء الذى يعطى بالسخاء ولا يعير !

السر العظيم . . أن يسوع كان فى السفينة !

وسفينة صيد النفوس أيضا ، قد يصل بها الأمر إلى ما وصلت إليه حال سمعان . فاذكر معصيتك واذكر طهارته ،

اعترف بإثمك وتمسك بقداسته . اعترف الاعتراف الحسن أمام السماء والأرض ، ان أخطأت إلى السماء وقدامك ، فارحمنى يا الله لأنى خاطىء .

وبهذه الطاعة المتواضعة ، وبهذا الاعتراف الحسن ، وبهذا الايمان بيسوع ، وبهذه الحاجة الصريحة إليه فى السفينة لا تعود تهتم وتضطرب بأمور كثيرة ، لأن الحاجة هى إلى واحد . هو يملأ الشباك سمكا ، ويملأ الجرار الفارغة خمرا جيدة . يعوضك عن السنين التى أكلها الجراد . ومهما كانت الظروف هو يبقى أمينا لن يقدر أن ينكر نفسه !

فألق إذن شبكة حياتك على اسمه . . لتخلص نفسك ونفوس الآخرين خلاصا أبديا من شوكة المعصية ، من بحر النجاسة ومياه البودية ، وتأتى إلى شبكة جديدة « شبكة ملكوت السموات » . وحينئذ لن تصرخ عنا. قدميه ، طالبا إليه الخروج من سفينتك الصغيرة لأنك انسان خاطىء ! فمن تلك اللحظة قد دخل المسيح سفينة حياتك العظيمة ، لتتبعه إلى مجده الأبدى ولاهوته المشرق .

سرّ البركة

« يسوع رأى جمعا كثيرا فتحنن عليهم » *

هذه المعجزة العظيمة ، اشباع الآلاف بالخبز والسمك ، هى آية البركة المستمرة وخدمة العطاء الوفير . خمسة آلاف رجل غير النساء والأطفال يسيرون وراءه ، ولا يدرون إلى أين المسير ، مبهوتين من كلمات النعمة التى كانت تخرج من شفتيه . وفى نهاية المسير الشاق الطويل ، كان الجمع الكبير فى أرض قفر خالية ، وقد بدأت شمس النهار أن تميل . وجزع التلاميذ اشفاقا على قطيع منطرح عند سفح الجبل ، فقالوا للرب اصرف الجموع ، فليس لنا فى هذا الموضع طعام ليأكلوه .

وهذه الصورة لجموع خائرة منطرحة من الجوع والعطش والتعب ، وشمس النهار تغيب وراء التلال ، هى صورة الاشفاق . فإذا أنت فاعله أيتها السماء المباركة بهذه النفوس المطروحة ؟

---

* انجيل القديس مرقس ٦ : ٣٤ .

هذة العزائم الخائرة ، القلوب اليائسة والبطون الخاوية ؟ جموع كلها أنين وتوجع وتأوه ، وكثيرون من المتعبين وثقيلى الأحمال ، الجميع يفتشون عنه ويلزمونه بالمكوث معهم ولو يوما واحدا فى الحياة ، فالحاجة ملحة إلى ذلك الواحد الوحيد المبارك . هذا كان الموقف عندما طلب التلاميذ إلى يسوع أن يصرف الجموع إذ ليس عندهم مايطعمونهم اياه!

أما يسوع المسيح فلم نعرفه هكذا . دعوته مباركة ، وخيره كثير ، ونعمته مجزية . يعطى الكيل الفائض وكلمته الغنية بغنى لا يستقصى لا ترجع إليه فارغة ، من يقبل إليه لا يخرجه خارجا . الجياع والعطاش إلى البر يشبعون ويرتوون لا يعرف الاجابة بالنفى ، بل كل ما فيه « نعم نعم وآمين » .

أنه قادر أن يعد مائدة فى برية قاحلة ، ويقيم وليمة وسط أرض جرداء . اذكروا أنه أرسل المن من السماء ، مثل طعام الملائكة ، وأكل منه بنو اسرائيل فى البرية أربعين سنة ، حتى جاءوا إلى أرض عامرة . فتعالى أيتها النفس الجائعة وهو سيحيل المجاعة شبعا ، والضعف قوة ، فلن ترجعى فارغة من بيت الرب ، من كنيسة الايمان !

واليوم يعزز يسوع نظريته العظيمة ، نظريته المسيحية عن البركة والعطاء . ونحن نلمس عملها كل يوم فى كل شىء تحت عيوننا ، ومع ذلك نفكر بعقلية التلاميذ يومئذ ببلادة وعجز . هى نفس عقلية القرن العشرين المعقدة ، التى لا تفهم سر البركة وكيف أنها وراء كل شىء فى الحياة .

وعندما أجرى الرب المعجزة ، استخدم امكانيات البشر لاتمامها . كان فى سلطانه المعجز أن تتم كل فصول المعجزة بغير حاجة لأحد ، ولكنه استخدم الصبى ، والتلاميذ ، ليخدموا خدمة البركة . وجد الصبى بأرغفة الشعير المتواضعة والسمكتين ، فباركه وبارك طعامه واستخدمه أساسا صالحا للمعجزة العظيمة . كما استخدم التلاميذ لينظموا الجموع فى صفوف وترتيب ، وفى توزيع الطعام ، وفى النهاية لجمع الكسر المتبقية من الخدمة .

وهذا الدرس جليل ، ان روح المسيح تعمل فى تلاميذه ، وان قوته فى الضعف تكمل . هو يعمل فى رسله ويتم كرازته بخدمة احبائه ، فان مسرة خدمته فى بنى البشر . جعل للخدام فى قانا الجليل أن يملأوا الجرار الفارغة ماء ، ليحيله يسوع

إلى خمر فى المعجزة الأولى . وجعل للتلاميذ أن يتكئوا الجمع ويناولونه الطعام ، وعلى يايرس وامراته أن يطعما الصبية بعد اقامتها من الموت . وهو نفسه يأمر الحاضرين ، أن يرفعوا الحجر أولا عن قبر ليعازر !

فخدمة البشر كثيرا ما تكون الوسيلة لاتمام عمل روح القدس . وقد تتعطل الكنيسة لعدم وجود خدام صالحين ، للقيام بالحصاد . لذلك لا تتعجبوا إذا قلت ان الخادم الذى لا يعمل بل يطمر وزنته فى الأرض ، يعطل خدمة يسوع المباركة ، ويمنع وليمته عن الجياع والعطاش إلى البر .

+ + +

وفى نهاية المعجزة بعدما أكل الجميع وشبعوا ، فضلت أثنتى عشره قفة مملوءة ! نعمة كافية جدا ، أكثر كثيرا مما نطلب أو نفتكر ، ما تخزنه السموات من البركات الروحية الممتازة لأولاد الله . بركاته للعالم كله ، بركاته كل الأيام .

كما نتأمل أيضا أنه لم يترك كسر الخبز مطروحة فى البرية ، لتداس من الناس ، بل أمر أن يجمعوها كى لا تضيع

البركة من أحد . وهكذا نحن أيضا لا يصح أن نفرط فى البركات الروحية ، والمواعيد التى اختصتنا بها نعمة الله .

لا تبيعوا البكوريه ، ولا تتركوا فتات خبز النعمة تسقط تحت موائدكم لتضيع وتتبدد . بل احرصوا على كل البركة ولأجل باقى الأخوة والمحتاجين إليها . حتى كسرة خبز واحدة أو كأس ماء بارد ، لأجل امتداد ملكوت السموات ومجد الكنيسة .

اتبعني

« فقام وتبعه » *

عبرت ظلال الحبيب على متى اللاوى جالسا عند مكان الجباية ، فأرسل إليه الدعوة العليا السمائية « اتبعني » ولوقته ترك كل شيء وتبعه ! لم يكن متى معاندا للدعوة العليا ولم يستشر لحما ودما ، بل تبعه بلا قيد ولا شرط ، حاسبا عار المسيح غنى أفضل من خزائن المال .

ترك كل ماله وجبايته وأملاكه ومقتنياته ، سائرا فى خطوات رئيس الايمان ومكمله ، وكل ما كان له ربحا فهذا قد حسبه لأجل يسوع خسارة ونفاية لأن كلام الحياة الأبدية هو عند قدميك المباركين يا ربى والهى .

وفى هذه القصة التى كتبها لنا الانجيل عن نفسه ، تأملات روحية غنية ، عن الدعوة وعن الاستجابة .

أما الدعـــوة فظروفها عاجلة خاطفة ومرسومة العين

---

* انجيل القديس متى ٩ : ٩ .

الالهية العميقة تبحث عن آنية خزفية متواضعة ، مختفية مهملة ، لتظهرها وتعدها آنية كرامة ومجد . والأصابع الالهية تختار لها جبلة ضعيفة ، تتعهدها وتصوغها بين يدى الفخارى العظيم كحجر مختار كريم كثير الثمن فى عينيه !

كان متى اللاوى واحدا وسط ملايين ، انسانا زائغا بين صفوف الجموع الكثيرة التى عبر بها الرب يسوع ذات صباح . كان يدين بالمبادىء السائدة ، ولا تبدو عليه مؤهلات حسنة خاصة ، بل على النقيض كانت صفاته الرديئة ظاهرة للجميع . فمن فم الأرملة واليتيم كان يأكل ، وقد جمع ذهبه من صراخ أجير الأرض الصاعد للساكن فى الأعالى . ولكن جاءته الدعوة العجيبة ، اختيار النعمة العميقة الرقيقة التى تسير وفق الناموس الالهى ، « أرحم من أرحم ، وأتراءف » . وكقول الرب « لستم أنتم اخترتمونى بل أنا اخترتكم » .

من الخيام المتغربة دعاهم ، ومن السقط والازدراء رفعهم إلى المجد والكرامة . وهكذا عمل نعمته ، عطيته ، أن تختار الجهال والمزدرى بهم وغير الموجودين ، لتبطل الموجـــود وتخزى حكمة الحكماء ، وترفض فهم الفهماء وسيادة الأقوياء .

لينتفي كل افتخار بشرى أمامه ، وليبطل كل علم وسيادة ورئاسة وسلطان ، ويبقى اسم يسوع — واياه وحده — يعطى مجدا ورئاسة ، وتجثو له كل ركبة ويعترف به كل لسان . كان هذا طريق الرب عندما دعا لنفسه رجالا من هذا الطراز ، وأقامهم رسلا يحملون اسمه بين الشعوب ويرفعون راية انجيله إلى أقاصى الأرض .

هـو الذى نادى ابراهـيم أن يترك أهله وعشيرته ، ويتغرب أيام حياته على رجاء كنعان . ومن البطن استدعى يعقوب ، واختصه بالبركات والمواعيد ، دون عيسو . ومن مصر اختار موسى الهارب من وجه فرعون ، والذى كان ثقيل اللسان ، ليقود الشعب إلى أرض الوعد . ومن وراء القطيع وجد لنفسه الصبى داود ، الابن السابع لأبيه ليصير ملكا ، ويأتى من صلبه بالجسد الملك المسيح . هو رأى الصخرة فى سمعان ، صياد السمك المتواضع ! ووجد آنية مختارة للأمم فى شخص بولس الطرسوسى ، بعدما كان مضطهد الكنيسة ومتلفها بافراط حسب مذهبه الفريسى الأضيق !

ماذا تقول فى هذه النعمة ، وكيف تفهم هذا الانجيل ؟

إلا أن نردد « يا لعمق غناك وحكمتك ، ما أبعد أحكامك عن الفحص وطرقك عن الاستقصاء » ! لقد جاءت ساعة السرور ليخفى يسوع سره عن الحكماء والفهماء ويعلنه لمختاريه من البسطاء والضعفاء . ليدعو متى العشار من مكان الجباية لخدمه الرسل ونصيب القديسين والمفديين ، وليتكىء معه على مائدته السمائية ويأخذ قرعة مع الاثنى عشر فى ملكوته . آه أيها الروح المجيد ، وأنت أيتها النعمة الخارقة التى لا تقاوم ! تنادين « قبل أن حبل بك فى البطن دعوتك ، ومن البطن قدستك » !

فهل تسمع همسته الرقيقة هذا الصباح « تعال اتبعنى » ؟ وهل تحس عبوره المبارك ، وتنصت لصوت رعايته الحنون . فان هذه الدعوة الخالدة بقيت على قوتها وسلطانها ، كما كانت منذ دعوة ابراهيم الأولى إلى كنعان . ما زالت دعوته العليا سمائية ، وهمسته عذبة روحانية ، وكلمته « اتبعنى » حية وفعالة .

هى تعلو على كل الدعوات الأخرى التى يدعوك إليها حكماء الأرض ، أو نداءات الجسد ، أو رفقاء السوء . هى أعلى صوتا وأعمق قوة من الدعوة إلى العلم أو الحرب ، إلى

اللذة أو التسلية ، إلى الاباحية أو الالحاد ، أو الفلسفات المنحلة . هو يدعوك وأنت على قارعة الطريق الصاخب ، وأنت فى مكان الحباية والصرف ، ومن الملهى والخمر والخلاعة وعدم المبالاة ومن بيت الحزن وبالوعة اليأس المفرط . يناديك وأنت فى الكنيسة ، وحتى على فراش الاحتضار ، وحيثما تكون فى كل مكان يسمع صوته ، « تعال اتبعنى » .

† † †

أما عن الاستجابة فنجدها فى تلك العبارة عن متى ، أنه ترك كل شىء وقام وتبعه . فان كلمات يسوع نافذة إلى قلوب سامعيه مباشرة ، فالقلب الحجرى ينصهر تحت رحمة نظراته العميقة ، كما صهرت نظراته نفس اللص اليمين وأحالته إلى قديس القديسين . وعجبا نرى محبة المال والطمـــــع ، والاغتصاب والرشوة ، والسرقة والشهوة ، وغرور الغنى والظلم ، تلاشت كلها ! ليسود عوضا عنها الايمان والرقة واللطف والسلام ، والرحمة والوداعة ! الأمور الأولى قد مضت ، والكل قد صار جديدا . خلع الجسد العتيق مع أعماله ، وليس الجديد الذى يتجدد للمعرفة بحسب خالقه .

ترك متى كل شىء ! هل تشعر بعمق هذه التضحية ،

وعظم هذا الاختيار ؟ أمواله وثراءه ومقتنياته وتعب العمر كله ، تنازل عنه للفقير واليتيم والضعيف ، فى لحظة فى طرفة عين . وتبعه . . . لتحفى نعاله وتبلى أقدامه وتتمزق ثيابه ، ليتغرب ويفتقر ويتعب ويموت شهيدا !

وأريد أن أتحدى حكماء هذا الدهر وفهماءه وعلماءه ، من منهم استطاع أن يغير مخلوقا بهذه الصورة ؟ من فيهم يقدر أن يفعل ذرة مما فعله يسوع فى متى وبطرس و بولس وتوما؟ من يقدر أن يجعل غنيا يتنازل عن أمواله الكثيرة ويغير مبادئه ، ويقلب رذائله رأسا على عقب فيجعلها فضائل وامتيازات عجيبة وآيات لا يفعلها البشـــــريون ؟ كيف صار السحرة يحرقون كتب السحر ، والزناة يبشرون بالطهارة والعفة ، والأغنياء يلقون أموالهم عند قدميه ، ويفتقرون بسرور ؟

حقاً ان دعوة المسيح الخالدة « اتبعنى » لن تغرق فى ضجيج الحرب والتهديد ، لا فى المؤتمرات والتجديفات ، ولا بالالحاد والرذيلة والارتداد . بل هى تقوى كل يوم لتضم إلى جوار متى العشار ، كثيرين من المختارين والمفديين والمخلصين .

الخاطئة والحجارة

« من كان منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » *

كان يسوع مبكرا فى ذهابه إلى الهيكل ليعلم الشعب . وكان الكتبة والفريسيون مبكرين إلى هناك أيضا ، ولكن بأرجل سريعة إلى سفك الدم ! لم تكن صلاة فى أفواههم . بل حكم صارم بالموت والرجم ، ولم تكن ديانة فى قلوبهم بل إدانة قاسية ، فى طرقهم سحق ، وفى خطواتهم هلاك .

وكانت الضحية بين أيديهم الخشنة ، يتقاذ فونها فى عنف وقسوة ، وهى ترتعد وترتجف من الخوف والرعب . امرأة أمسكوها وهى تزنى فى ذات الفعل ، وموسى أوصى فى الناموس ، وصية واحدة ، ان مثل هذه ترجم .

وأطرق يسوع إلى الأرض ، وفى رأسه أفكار كثيرة . كان حزينا من أجل قساوة قلوبهم ومكرهم وتجربتهم اياه . وكان حزينا من أجل المرأة الخاطئة وموقفها الشائن . ولكن هذه الخطيئة الدنسة لم تقدر أن تغير قلبه أو تحرّف محبته الملوكية ، فانه لا توجد أى خطية تقدر أن تفصله عن محبة البشريين !

---

* انجيل القديس يوحنا ٨ : ٧ .

وللوقت رفع رأسه فى عزم أمام وجوه الشاكين الصارمة ونظراتهم المتسائلة الصاخبة ، ليختار بدون تردد انجيل النعمة ، انجيل الرحمة والمسامحة . لتسود بالمسيح الرحمة على الحكم ، والنعمة على الوصية ، والروح على الحرف « لأن الناموس بموسى أعطى ، أما النعمة والحق فبيسوع المسيح صارا » .

موسى أوصى أن مثل هذه ترجم ، أما أنا فأقول « اذهبى بسلام ولا تخطئى أيضا » .

وفى تحليل هذه الواقعة تأملات غنية ، وتعاليم معزية للنفس الانسانية . نرى فيها معاملة البشر للبشر ، ومعاملة الوصية للبشر ، ثم معاملة المسيح للبشر . كيف يواجه البشر الخطيئة ، ويواجه الناموس الخطية . ثم مواجهة النعمة للخطية .

+ + +

أما معاملة الانسان لأخيه الانسان الخاطىء فمحزنة ، والطريقة التى يواجه بها البشر الخطية تدين البشرية وتدمغها بالعار . الفريسى يقول فى كبرياء بره الذاتى « أنا لست مثل ذلك العشار ولست مثل سائر البطالين السارقين الزناة » ! والجمهور الصاخب فى ذلك اليوم كان يضم رجالا من هذا النوع ، حيث غيرة كاذبة ، وكرامة مصطنعة ، وأنانية ذاتية مكروهة فى عينى الرب .

وهذه القصة تمثل صورة واقعية لما صارت إليه البشرية حيث مأساة تناقض مشين ، أن المجتمع يدين وهو بالأحرى مدان ! وما أقسى الوقوع تحت ارشاد الخطاة وسلطانهم ، حين يدين المجتمع الخطية وهو عبد لها ! يحكم على تابعيه ، وهو بأسره يئن ويتوجع تحت ثقل خطايا جسيمة تجثم عليه !

انها زانية ، ولكنه حسب تفسير السيد المسيح قد يكون كل فرد زانيا بالعين أو بالفكر المستور تماما كما بذات الفعل ! والمجتمع الذى يدين الزناة فى الظاهر ، هو نفسه الذى يحمى الزنا والدعارة ويدعو إليها فى الخفاء ! وإلا فما هو تفسير هذه الاباحية المستهترة والعراء الفاضح والتحرر الحسى والفكرى والجنسى ، بكل دعاية وصورة ووسيلة ، باسم التطور والتحرر والتمدين والعلم . ؟

أما عن الوصية بالنسبة للخطية فى ناموس موسى . فانها بحرفيتها ترجمها بالحجارة لتستأصلها وتسحقها . وماذا يقول الوحى الالهى بلسان بولس الرسول إنه قبل الوصية كنت عائشا قبلا ، فلما جاءت الوصية عاشت الخطية ومت أنا ! وهكذا صارت الخطية بالناموس . فبالوصية صارت معرفة الخطية ، وبالوصية صارت خطيتى خاطئة جدا . ودينونة عادله وقاسية .

وقد كان جبل الوصايا سيناء القديمة ، ملموسا ومضطرما بالنار . فيه ضباب وظلام وزوبعة ، وصوت كلمات رهيبة ، حتى قال موسى نفسه « أننى مرتعب و مرتعد » ! فما هى المنفعة فى موسى اذن ؟ انه مؤدبنا إلى المسيح . يغلق علينا جميعا ، لنتجه نحو وسيط العهد الجديد ، وإلى جبل صهيون مدينة الله الحى . كان فى الناموس ذكر ذبائح تقدم مرارا كثيرة ، لكنها لا تستطيع أن تنتزع الخطية ، سواء خطايا الشعب أو خطايا الذين قدموها . وهكذا الناموس كان ظلا للخيرات العتيدة ، فلما جاء المسيح لم نعد تحت مؤدب بل تحت النعمة .

† † †

أخيرا نتأمل كيف واجه يسوع الخطية وعامل الخطأة ؟ نجد كلمات النعمة العميقة الغنية قد خرجت من شفتيه المباركتين ، بالناموس الملوكى الجديد ، « من منكم بلا خطية فليرمها أولا بحجر » . أمام عينيه انكشفت الخطيئة فى معناها المحزن وقبحها المشين . كل الخطايا السالفة والحاضرة والمستقبلة كانت مقروءة واضحة أمامه ، خطايا الجميع . وبدأت أنامله الرقيقة تخط على التراب كتابات وحروفا وتواريخ خطايا كثيرة طواها النسيان ، ولم يطوها غفران ! وإذا كانت المظاهر تخلق من البشر شجعانا ، فان الضمير يحيل أشجع

الشجعان جبانا ، لا تقدر ساقاه أن تحمله . فالأفكار والضعفات التى نخفيها ونتستر عليها ، تصبح ذات هيئة منظورة قبيحة ، وتتكلم فى السماء بصوت مسموع ! وهكذا خرجوا جميعا تبكتهم ضمائرهم ، الشيخ أولا والشاب أخيرا !

وبقى يسوع ، والمرأة فى الوسط وحدها ! كان هو الواحد الوحيد الذى بلا خطية ، وله الحق وحده أن يرميها بحجر ، فرماها بالسلام الفائق ! « أنا لا أدينك ، فاذهبى ولا تخطئ أيضا » . وانتقلت البائسة على الفور من غضب الانسان إلى راحة شعب الله !

كيف كان ممكنا أن يتم ذلك ؟ انه لم ينقض ناموس موسى بل أكمله ، ولم يسقط حرف واحد من الوصية أو جزاؤها ! فانه بعد قليل من الزمان ، كان يسوع مزمعا أن يأخذ لنفسه نفس المكان الذى أخذته المرأة ! جروه أمامهم فى وسطهم أمام ولاة وحكام . وكانوا يشتكون عليه أنه ينبغى أن يموت . وهكذا خرج حاملا الصليب ، حاملا جميع خطايانا فى جسده ، وهو مجروح ومسحوق لأجل آثام العالم . وفى هذا كان كمال الوصية ، فى الجسد المكسور ، والجنب المطعون ، والدم المسفوك ، والروح التى أسلمها ، والموت الذى تذوقه .

من أجل الزانية ، بذل ظهره للضاربين ووجهه لم يستر عن عار البصاق . من أجل القتلة ، علقوه على جراحات عظيمة مع الأثمة . من أجل كل خاطىء ، أطلق بيلاطس باراباس القاتل وأسلم يسوع ليموت .

واليوم ، أقف فى الوسط وأقرع صدرى ، لأنى انسان خاطىء . فى مكان الزانية والعشار أقف واعترف ، انى أول الخطاة إلى السماء وقدامك . مصليا من أجل القلب المنكسر والروح المنسحق ، ألا ترذله يا ربى . متكلا تماما على نعمتك التى تبرر الفاجر ، ومتعلقاً بصليبك الذى انسكب عليه دمك الطاهر . لاسمع فى النهاية ميعادك المعزى وعبارتك الرقيقة ، « إمض بسلام . ولا أنا أدينك » .

الابن الضال

« هذا كان ميتا فعاش ، وكان ضالا فوجد » *

الاصحاح الخامس عشر من انجيل معلمنا لوقا الطبيب الحبيب ، فصل مختار فى فصول الكتاب المقدس . لم يكتب لوقا أنشودة من العواطف البليغة مثلما كتب فى قصة الابن التائه . وكم بدت عظمة يسوع حينما خرجت من شفتيه واقعة ذلك الابن الضال . فمنذ فجر الايمان المسيحى حتى يومنا هذا ، ما زال الملايين من بنى البشر يجدون فى هذا الفصل التعزية والتشجيع واليقين الكامل فى رأس خلاصنا ومكمل ايماننا ، يسوع ابن الانسان .

والواقعة غنية بالعواطف والانفعالات ، مليئة بالمواقف الواقعية المؤثرة ، وقد لا تملك أن تحبس دموعك فى بعض مشاهدها الانسانية الدقيقة ! فهى قصة تمس كل بشر وكل حياة ، مأخوذة من الطبيعة البشرية ، لم يغيرها الماضى ولن يمسها تغيير فى الحاضر أو المستقبل .

وهذا سر عظمتها وتأثيرها فى سامعيها وقارئيها .

---

* انجيل القديس لوقا ١٥ : ٣٢ .

يبدأ مشهد القصة فى بيت هادىء سعيد ، وتحت سقف البيت كان يعيش رجل وابناه ، وخدم وعبيد ، فى سلام فى شبع وفى كفاف . وجاءت الساعة التى تواجه كل مخلوق على الأرض .. ساعة الاختيار ! اختار الابن الأكبر أن يقف إلى جوار أبيه إلى النفس الأخير ، وأن يبقى تحت سقف البيت الذى ولد وعاش فيه . أما الصغير فقد داخله فكر آخر ، من وحى الشرير . طلب من أبيه ما يخصه من المال والميراث الذى لم يتعب فى جمعه . أبوه هو الذى تعب وبذل فيه العرق والدم والدموع ، والابن الطائش يريد أن يحصد ما لم يزرعه !

البيت المنقسم على ذاته لا يدوم ، بل مصيره الخراب والفشل والسقوط . وهذا هو المبدأ الذى يحارب لأجله الشرير ، ليتحصل على السيادة بالتفرقة والانقسام . فرق بين الابن وأبيه ، وكان سلاحه المال والميراث . ولعله كان يهمس فى اذن ذلك الشاب الحدث الصغير كل ساعة ، ما يهمسه فى آذاننا حتى اليوم . . أنت كامل السن ، حر كيف تفكر وكيف تعيش ، قم امض إلى العالم فهناك حياة جديدة رحبة تنتظرك أفضل من بيت أبيك العتيق .

أليس هذا مبدأه فى محاربة البشر ؟ الكنيسة بيت

سعيد غير مصنوع بأيادى الناس ، ورب البيت ندعوه ابا لنا فى السموات ، وتحت ظل البيت يسكن بنين وبنات . شيوخ وشباب وأولاد ، يعيشون بالايمان ويحيون بالتقوى . فيجىء أبليس يريد أن يعثر ولو المختارين أيضا ، ووسيلته « فرق تسد » بين الآب السماوى وبين أولاده ، بالاغراء والحرية الكاذبة واللذة المائتة .

ومن أحضان أبيه الطيب القلب ، انطلق الابن الصغير إلى العالم الذى تخيله فى نفسه وفكره ، إلى كورة بعيدة عن بيت طفولته وصباه . ومضى ليعيش بين سائر الناس ، مندمجا فى صفوفهم يحيا حياتهم ويدين بمبادئهم ، متحررا من كل قيد وفرض . !

وأستطيع أن أتخيل ساعة الرحيل ، وعواطف الأب وعواطف الابن الراحل . فى مشهد مؤثر . عانق الأب ابنه وقبله . كان الأب يعاين لحمه ودمه ، صورة مجده ورجاء كفاحه فى الحياة ، يذوب ويتلاشى فى خطوات ابنه الحاحد وهو ينطلق بعيدا فى الطريق الرحب إلى كورة مجهولة ، موليا ظهره لأحبائه وفاتحا صدره ليستقبل العالم الواسع . وانهارت القصور التى كان يحلم بها الأب كبير القلب ، والسعادة التى

كان يتمناها لصغيره ، أمام عواطف جامدة وأفكار شاردة وشهوات عابرة . .

وهذه الآمال والسعادة لاتقاس بما تمناه لنا الله حينما تمخض بنا بالصليب . فاحتمل العار والخزى ، البصق والازدراء ، الوحدة والضيق ، من أجل السرور الموضوع أمامه ! سرور لا ينطق به ومجيد لأجل أولاده ، مواعيد عظمى وثمينة ، والمجد العتيد أن يستعلن فيهم . ولكن وأسفاه ! أنهم لازالوا يتركون الحبيب إلى كورة بعيدة ، ينطلقون خارج البيوت الأبدية إلى الطريق الرحب للهلاك والمسالك غير المستقيمة . ومازال المسيح يباع لقاء ثلاثين من الفضة ! ينبوع ماء الحياة يهجر ، والمراعى الخضر تذبل ، والأولاد يمضون للغيوم التى لا تمطر ، والآبار التى لا تضبط ماء ! !

† † †

وانفصل الابن الشارد وعاش فى الكورة البعيدة ، حيث الخرعة المرة التى احتساها من مسال الظلم ، والخبز اليابس الذى اشتهته نفسه الطائشة وفكرة الآثم . عيش مسرف فى الخلاعة ، عرق أبيه أكله مع الزوانى ، والميراث بدده بين أصدقاء السوء والأردياء .

وهذا منطق طبيعى لا غرابة فيه البتة ! فالعالم الحاضر قد

وضع فى الشرير ، والشرير لا يستطيع أن يعطى إلا مما له شهوة العيون ، وشهوة الجسد ، وتعظم المعيشة . كذب ونفاق وخداع ولذات آثمة ، أمجاد عابرة لا تدوم ، هذا هو الطعام البائد الذى يتغذى به الناس من رئيس العالم .

والعالم كورة بعيدة وأرض غريبة ، بالنسبة لأولاد الله . إذ لهم بيت غير مصنوع بأيادى الناس ، وخيمة قائمة لا تسقط ، أرض جديدة وسماء جديدة يسكن فيها البر ويربض الأسد مع الحمل . حظيرة سعيدة ووطن أفضل ومرعى أخضر ، هو ذلك الملكوت السماوى الذى لنا بيسوع المسيح الهنا .

وفى اليوم الذى ينطلق الأولاد فيه بعيدا عن الله ، إلى العالم الغريب والكورة البعيدة ، يسلمهم الآب إلى ذهن مرفوض ويظلم قلبهم الغبى فيفعلون ما لا يليق . السم تحت شفاههم يسكن ، والشهوة النجسة فى عيونهم تكمن ، الاغتصاب والسحق فى أيديهم ، والدم والهلاك يتبع أرجلهم . فينفقون الميراث باسراف مع الزوانى ، مثلما أنفقها ذلك الابن الجاحد الضال .

† † †

وزادت المجاعة بعد الشبع ، والحاجة بعد الكفاف . العشب يبس ، والزهر فنى جمال منظره ، وانبتت الأرض

القاحلة شوكا وحسكا .. فابتدأ الابن يجوع ، وابتدا يحتاج .

يا لعمق غنى الله وحكمته ! ما أبعد أحكامه عن الفحص وطرقه عن الاستقصاء. ان الذى يزرعه الانسان فاياه يحصده أيضا ! الذى يزرع لجسده فمن الجسد يحصد موتا ، والذى يبذر بذار النجاسة فى الكورة البعيدة ، يحصد حصاد الشوك والزوان . لا سلام فى العالم ولا شبع ، بل برية قاحلة ومجاعة عظيمة ! كل هبات العالم وقتية ، ملذاته عابرة ، غناه وأمجاده زائلة ، كله تغيير وظل ودوران ..

وأخيرا تبقى المجاعة ! مجاعة روحية عظيمة للبر والسلام واللطف ، حاجة ملحة للغذاء الروحى والكساء العقلى ، للايمان والرجاء والمحبة والصداقة التى لا يشوبها رياء . وهذه عينها هى المجاعة التى تسود عالم القرن العشرين ! الخليقة التى تئن وتتوجع ، سر الاثم الذى يعمل للهلاك ، ختام الأمر كله أن العالم قد ابتدأ يحتاج ، وأما الحاجة فهى إلى واحد !

وقد كان هذا الابن الجاحد محتاجا ولا شك ، إلى خبز يشبع جوعه وكساء يحمى بدنه العارى . ولكن من وقائع القصة تشعر معى أنه احتاج الأمر إلى أمر آخر بالغ الأهمية . محتاج إلى صديق وفى يستطيع أن يبادله الصداقة الأمينة بلا

رياء ، ورفيق مخلص يقف إلى جواره فى اليوم الأسود والساعة الحرجة . ووراء الصديق والرفيق ، كانت تبرز حاجته إلى أب مفقـــود .

وما كان أحوج الابن الضال إلى أبيه البعيد ، وليس هناك صديق واحد من أصدقاء السوء ليقف إلى جواره ساعة الكرب . قد زرع الجحود وانكار الجميل نحو أبيه ، والآن يحصد مما زرع أيضاً جحودا وجفاء ، من الناس الأردياء الذين أنفق عليهم من مال الظلم !

وهذه واقعة كل يوم ، وقصة كل حياة . لا سلام فى العالم يدوم ، ولا صداقة لتعيش . قد تطلب الخرنوب ممن قدمت لهم الذهب ، فلا يعطيك أحد . الأيام شريرة تبسم يوما ثم تميل للعبوس ، تضحك حينا وتبكيك دهرا . أين الأصدقاء والأحباء ، أين الرفيق والمعين ؟ ليس ولا واحد ! ! لأن ابليس سيد كاذب وغادر . وإذا استقيت من يده الحلاوة الآثمة ، فهى ستعطيك أيضا مرارتها لتشرب .

† † †

ورجع الابن الضال يوما إلى نفسه . وقال كم من أجير لأبى يفضل عنه الخبز وأنا أهلك جوعا ؟

كان القياس حكيما ، والمقارنة صائبة بين أبيه ونفسه .

خبز يفضل عن العبيد هناك ، وجوع مهلك للبنين هنا ! شبع وكساء ، وطن ورفاق ، غنى وسلام ، هذه جميعها عند أبى ، وهنا فى هذه الكورة التى خدعتنى تبقى المجاعة وتعيش الشهوة وأهلك أنا !

ومن نعم الله العميقة ومن مراحمه العظيمة ، أنه جعل فينا إدراكا وقلبا وضميرا ، ليوبخنا حينما نخطىء ، يوقظنا حينما يطول سبات النوم ، ويرجعنا إلى راعى نفوسنا وأسقفها حينما نضل بعيدا فى أوكار الثعالب وكوره الذئاب .

سمعان بطرس كان يشتم ويحلف ويلعن باسم سيده حينما صاح الديك ، ثم رجع إلى نفسه وتذكر فخرج ليبكى بكاء مرا نفسه الجاحدة ! شاول الطرسوسى كان ينفث قتلا وتهددا وتشريدا فى أتباع المسيح ، إلى أن قابل ناصرى الجليل عند أبواب دمشق ، فرجع إلى نفسه !

ارجع إلى نفسك أيها الضال الصغير ، فان هذه أعظم فضيلة فى الوجود . تلفت إلى اليمين واليسار ، تعاين الهلاك والجوع ، الآبار الجافة والعشب اليابس والزهر الذابل . ثم التفت وراءك نحو بيت أبيك ، بيت الرعايه والصبا ، القلب الرقيق والمحبة الصافيـــــــة والنفس الكبيرة .. كلها لك ،

مفتوحة لتحتويك أيها الصغير .

ومن هنا كان القيام والرجوع إلى بيت أبيه . الأيام الشريرة علمته كيف يكون صالحا ، الخبرة الرديئة فى الكورة البعيدة علمته الحكمة الفاضلة والتمييز بين الخير والشر . الزنا والنجاسة المجاعة ، طعام الخنازير ، جفاء البشر وأصدقاء السوء ، البذخ والعيش المسرف ، هذه جميعها أرجعته إلى نفسه التى ضاعت منه يوم غادر أباه . وعاد وهو يقول أن أكون أكون أجيراً فى بيت أبى ، أفضل من البقاء حرا وسط الخنازير ! أن أكون خادما فى بيت أبى ، أفضل من السيادة وسط الغرباء والأردياء. الجراحات فى بيت أبى ، أفضل من القبلات الغاشة وسط الأعداء . والمرارة فى بيت أبى ، أفضل من الحلو الذى يسقينيه المنافقون . فما أعظم التوبة ، ثمنها يفوق اللآلىء !

+ + +

وحقاً يكون تهليل فى السماء ، تسبحة وترنيم وأصوات ملائكة سعيدة ، حينما يستقيظ النائم من سباته ويرجع الضال إلى نفسه ليقوم عائدا إلى البيت. وهناك شىء واحد لايرذله الله أبونا السماوى ، هو القلب المنكسر والنفس المنسحقة بالتوبة الصادقة ، والعودة إلى راعى نفوسنا الصالح . فالدرهم

المفقود قد وجد ، والخروف الشارد من قطيعه عاد إلى راعيه الحقيقى ، ليحمله على منكبيه ويرجع به فرحا .

وعجيب أمر هذه الأبوة الحانية ، أنها ينبوع من العاطفة الجارفة والمحبة الصادقة الخالصة . تحتمل وتصبر وترجو كل شىء ، لا تفشل ولا تغضب ولا ترجع فارغة ! قلب الأب النابض بهذه الأبوة كان يحدث صاحبه أن الابن الضائع وان طالت غيبته ، لا بد عائد يوما ما إلى البيت . وعلى هذا الرجاء الراسخ عاش بقية أيام حياته .. عين مترقبة تتطلع إلى الأفق البعيد ، نحو الطريق الذى سلكته أقدام الابن الصغير ، ويد مرتعشة توقد السراج وتحمله إلى الباب كل ليلة ، كى يهتدى بنوره كل عابر سبيل وسط الظلام .

إلى أن جاءت ساعة لم تكن أسعد منها فى الحياة ! حين لم تخطىء العين المتلهفة صورة الابن الحبيب . من بعيد رفع الأب عينيه ورآه ، فى أسماله وعريه ، فى هيكله وأقدامه البالية . ان السنوات قد محت معالمه ، وغيرت منظره ، ولكن بقى جوهره ، جوهر ابنه الصغير ! وتحنن الأب الكهل ، نسى الاساءة وصفح عن الجحود فى لحظة ، فى طرفة عين ! وانطلق يركض ركضا بأرجل هزيلة شددها الايمان والرجاء

والمحبة ، هذه الثلاثة العظيمة ! وتحت الشمس والسماء الصافية وقع الأب على عنق إبنه ، فى قبلة الغفران الخالدة .

« فابتدأوا يفرحون . »

بهذه العبارات ختم يسوع قصة التوبة والمسامحة . أفراح مجيدة فى البيت الصامت الحزين ، صوت رقص وطرب عوض الدموع والأنين . حياة بعد موت ، وجود بعد ضلال ، وعودة بعد انطلاق . أب سعيد بصغيره الذى قام من بين الأموات !

وانه هكذا يكون فرح فى السماء بخاطئ واحد يتوب ، وصوت أجراس سمائية وملائكة مبتهجة ، بكل نفس تعود . فالى البيت السماوى أيها الحبيب ، لتجد رداء البر ناصعا فى بياضه كالثلج ، حاذيا قدميك باستعداد انجيل السلام ، وخاتما فى أصبعك عهدا أبديا للمحبة التى بلا رياء ، ثم طعاما سمائيا أفضل حلاوة من خبز الملائكة .

فلست بعد عبدا بل ابنا ، والابن يملك فى البيت إلى الأبد.

أين هى عيونكم ؟

« يسوع رفع نظره نحو السماء » *

فى الآية العظمى بالخمس خبزات والسمكتين ، عندما أطعم الرب يسوع الجموع التى كانت تتبعه ، يلفت نظرى قول الانجليين الأربعة انه رفع عينيه نحو السماء وشكر ، وللوقت بارك وكسر وأعطى التلاميذ ليعطوا الجموع . وأنه لاختبار روحى جميل أن نتطلع إليه اليوم بعين الايمان ، شاخصا نحو السماء فى جلال وهدوء ، وشفتاه تنطقان بعبارات الشكر والبركة والسلطان .

أين هى عيونكم هذا الصباح ، وكيف تتجه أنظاركم ؟ أخاف أن أقول فى أسف ولوعة ، انى لا أرى عيونا كثيرة شاخصة نحو السماء ، ولا أنظارا مرتفعة إلى الأعالى . فان هذا القرن العجيب الذى نعيش فيه قد غير معالم حياة الانسان وايمان المسيحية الأولى . فالأنظار لا تتجه إلى أعلا ، بل إلى أسفل الأسافل وأعماق الهاوية ! عيون ليست بسيطة ولا مستنيرة ، بل مظلمة ماكرة ، منحرفة مشتهية « وإذا كان النور الذى فيك ظلاما ، فالظلام كم يكون » ؟

---

* انجيل القديس متى ١٤ : ١٩ ، ومرقس ٦ : ٤١ ولوقا ٩ : ١٦ ، ويوحنا ٦ : ١١ .

فالبشر يشخصون إلى أسيادهم ورؤسائهم ، كما ينظر العبيد نحو سادتهم . يتطلعون إلى المؤتمرات والأحـــلاف والمواثيق والموائد المستديرة ، متعلقين بها تعلق الغريق بالنجاه. ينظرون إلى الحروف الكبيرة والعناوين الضخمة تطالعهم بها الصحف فى الصباح والمساء ، حين تحدثهم عن حروب ، عن كوارث وآلام ، عن جرائم واغتيالات ، وفضائح وآثام .

وأرى عيونا أخرى شاخصة إلى المال بشراهة ، بطمع وعبادة . وأرى أنظارا لا تتفتح إلا على الشهوة واللذة ، نحو مال الجار ، وامرأته ، ثوبه ومنزله ودابته ! وأبصر عيونا تشخص فى نهم ، نحو الاعلانات المصورة المشوهة فى الميادين والطرق ، وهى تنطق وتنادى بالنجاسة والرذيلة والانحلال.

+ + +

أما نحن فلم نعرف المسيح هكذا ، ولا تبعناه فى مثل ذلك الطريق الذى يسير فيه العميان قاده للعميان ! فانه يعلمنا فى هيئته المجيدة واقفا بين جموع البشر ، كيف ننظر وإلى أين تتجه عيونا دواما .

إلى فوق أيها العزيز . . إلى أعلا الأعالى ، إلى السماء الثالثة ، إلى يمين العظمة ، نحو الجبل المشرق والسحابة المضيئة

بأنوار الخلود . فلا تكن فيكم عين مخذولة تنظر للوراء نحو سدوم أو عموره وهى تحترق لئلا يأتى عليكم ما أتى على امرأة لوط حين صارت عمود ملح جزاء نظرتها المائتة . بل ننظر فى كل وقت مناسب وغير مناسب إلى السماء ، بايمان ورجاء ويقين . نخلع عن عيوننا البرقع الذى يحجب المواعيد والاعلانات الثمينة منطلعين للسماويات ليلا ونهارا .

والسموات كانت دواما على شفتى الرب المسيح — قد اقترب منكم ملكوت السموات — طوبى للمساكين بالروح لأن لهم ملكوت السموات — أفرحوا وتهللوا الآن أجركم عظيم فى السموات — اكنزوا لكم كنوزا فى السموات — بالحرى افرحوا لأن اسماءكم قد كتبت فى السماوات .

فالسماء هى كرسى مجده ، والأرض موطىء قدميه . وقديما تمجد الله أمام شعبه فى عمود النار والسحابة الـــتى ظللتهم من السماء فى البرية . وتسبحه الملائكة كل حـــين ، هى « المجد لله فى الأعالى » . وصلاتنا الربانية تنادى فى مطلعهـــا « أبانا الذى فى السموات » . وفى أيام تجسد الرب جاء الصوت العظيم من المجد الأسنى من السموات « هذا هو ابنى الحبيب الذى به سررت » .

وفى أسبوعه الأخير على الأرض نادى الرب يسوع مجدنى أيها الأب ، ومن السماء جاءه الجواب الالهى «مجدت وسأمجد أيضا» كمثل رعد قاصف . ومن السماء أيضا جاءت عاصفة الروح القدس يوم الخمسين ، وحل على التلاميذ من فوق كألسنة نار. وإلى السماء الثالثة ، اختطف بولس الرسول وعاين اعلانات ورؤى لا يسوغ لبشر أن ينطق بها .

+ + +

وهذا هو العهد الذى قطعه على نفسه ، ان الابن كما انطلق إلى السماء بعد أن أخذته السحابة عن أعين التلاميذ ، سيجىء منها من المشرق فى مجد عظيم ليدين الأحياء والأموات. لتنظره كل عين ، ولتجثو له كل ركبة ويعترف باسمه كل انسان ، ليملك ويسود ويضع أعداءه عند موطئ قدميه .

وإذا كان فينا هذا الرجاء الخالد لا يتزعزع ، فى المجد والعهود والمواعيد ، فلنرفع أنظارنا إلى فوق دائما . فى ساعة التجربة والضيق والشدة ، فى أوقات العثرات والحرب والشدائد ، فى الضرورات والأمراض والدموع ، والاضطهاد والارتداد .. فى هذه جميعا نتطلع إلى الأعالى من حيث يأتى عوننا . وكما قيل « فى ضيقتهم رفعوا عيونهم إلى عرشه ».

كان استفانوس يموت ويتمزق جسده ، هاويا تحت ثقل الأحجار المميتة من أيدى راجميه .. أما عيناه فكانتا شاخصتين كملاك نحو السماء ، مبصرا يسوع قائما فى يمين العظمة يعزيه ويقبل روحه ، حاملا له بين يديه إكليل الشهادة .

وختام الأمر كله انه لنا فى السماء وطنا أفضل ، مدينة باقية ، أورشليم السمائية ، أم جميع المؤمنين . حيث لا موت ولا حزن ولا دموع . بل نكون كل حين مع الرب ، مضيئين كأنوار بحسب غنى مجده وقدرته السرمدية وسلطانه الابدى .

السامرية

« نحن قد سمعنا ونعلم أن هذا هو بالحقيقة المسيح مخلص العالم »*

عند البئر التى أعطاها يعقوب نصيبا لبنيه ومواشيه ، وفى أجمل بقعة خضراء فى قلب السامرة ، جلس يسوع ينتظر لقاء العمر بالنسبة لامرأة لها ماض !

وكتب يوحنا الانجيلى منفردا ، حواراً خالدا بين رب المجد والسامرية ، صارت عباراته خلال الأجيال الطويلة مصدر تأمل عميق وغنى للروح لا تبلى معانيه. فان يسوع المسيح هو بذاته أمس واليوم وإلى الأبد ، لا تغيير فيه ولا ظل دوران ، جالس كما فى ذلك اليوم ، ينتظر أن يلقى شباك ملكوت السموات و دعوة الحياة والحق ، ليرد الخطاة إلى الخير وفكر العصاة إلى طاعة الأبرار .

أقبلت السامرية حاملة جرتها من المدينة إلى البئر لتستقى ماء ، أقبلت وحدها . وهذه السامرية هى النفس المتعبة ، النفس الوحيدة المحتاجة إلى معونة رقيقة ، تسعى وقت الظهيرة و هى ظمآنة متعبة إلى بئر يعقوب تطلب ماء . وكم تشتاق نفسى

* انجيل القديس يوحنا ٤ : ٤٢ .

للمياه كشوق الغزال الظامىء ، فأسير مطرق الرأس مجهد الروح نحو المياه ، فلعل خطوات السامرية تقودنى إليه فألقاه هناك ... لقاء العمر كله !

وقال الرب عبارته الرقيقة ، « أعطينى لأشرب » ، واضعاً الطريقة الجديدة لخلاص النفوس . إذ هو يقول « أعطنى لأشرب » على حافة البئر ، « وأنا عطشان » فى أعلا الصليب. أنت تطلب إلى يا يسوع يا ابن الله ! عجيب فى أعيننا ، يا رابح النفوس الحكيم !

فانه لما كانت النفس البشرية شامخة مرتفعة ، أنانية متكبرة ، ولكى يعبر يسوع غرور القلب وقسوة الخطية ، يطلب هو باتضاع من هذه النفس فلا يجرح كبرياءها . يريد عملا انسانيا يقرب النفس البعيدة إلى قلبه الكبير سواء بكأس الماء البارد أو خمسة أرغفة شعير ، أو فلسين متواضعين ، أو عبارة اعتراف أو صلاة شكر متواضعة . كسوة عار ، أو افتقاد حزين ، أو رد خاطىء. قد يطلبها منك بمجهودك و تعبك ، لا لنفسه بل كى يفتح لنفسك بابا عظيما للخلاص ، كما فتح السامرية عند البئر .

وقالت السامرية فى دهشة ، وقالت نفسى أيضا ، كيف

تطلب منى لتشرب ؟ كان هذا هروبا من الخدمة ، ومحاولة لبقاء عزلة النفس عن الله . انها تقول « لا أريد حديثا معه ، لعله يكون غريب الجنس عنى » ، ونفسى تقول ليس هو محتاجا لخدماتى ، وربوبيته لا تحتاج لعبوديتى ، ولا يخدم بأيادى الناس كأنه محتاج إلى شىء . فليبق كل منا فى طريقه لا يأخذ هو مما لى ، ولا تأخذ نفسى مما له !

أما رابح النفوس الحكيم فقد انفتحت قدامه أبواب الخلاص العظيمة . أنه يرى نفسا مرتبكة مضطربة ، وحيدة فى عزلتها ، مرتفعة فى كبريائها ! فيطمئن النفس المضطربة أنها هى المحتاجة إلى ربوبيته قائلا « ليتك تعلمين عطية الله » أطلب منك ماء لأشرب ، ولكن لى سلطان أن أعطى أنهار ماء حى ، الينابيع العلوية والسفلية الأبدية وكل طاقات الغمر المفتوحة !

وقالت السامرية للرب وقلت معها فى غباء ، أن اعطنى هذه العطية ، وهى لم تعطه كأس الماء التى طلب ! النفس البشرية فى أنانيتها ، وذاتى على حقيقتها ، تريد أن تأخذ ولا عطاء ، لا شىء لك ولنفسى كل شىء !

أما رابح النفوس الحكيم فيقول ، أين الزوج والأخوة

والأحباء أيضا ؟ من ينظر إلى نفسه فقط يهلكها ، ومن يهلكها لأجلى وللاخرين يجدها . انتزع عنك ذاتك الأنانية ، وادع الجميع فالموعد هو لكم ولأولادكم من بعدكم . اعترف بخطاياك ولا تكتم آثامك أو تخفى ماضيك ، فليس فى الأرض بار واحد ولو كانت حياة الانسان يوما واحدا . تعالى أيتها النفس المتعبة ، وافتح بابك يا ثقيل الحمل . تعالوا معا إلى الوليمة يا اخوتى وأحبائى ، تعالوا أيها العميان والجدع والعرج والضعفاء والمساكين والمنكسرين والذين بلا كرامة

قرأ يسوع للسامرية سفر حياتها ، وطالع أيامها وماضيها فى كتاب مفتوح . رأى أزواجها الواحد تلو الآخر ، والرفيق الأخير . انها حياة غير مستقرة ، انها نفس متعبة ! ليس فى اشارة المسيح تجريح أو تشهير ، لكنه تذكير هادىء بالاثم القديم ، هى دعوة صادقة أن تراجع حياتك ، تطالعها فى ضياء عينيه وكمال بره . الأيام السالفة التى مضت ، السنوات التى أكلها الجراد ، ثم يومك الحاضر وما تخفيه نفسك من فشل وخوف .

† † †

وإذ رأت فيه روح الأنبياء ومعرفة الصديقين ومشورة الحكماء ، اقتربت منه اقترابا جديدا . سألته عن المكـــان والزمان ، عن الهياكل والجبال والوطن ، أورشليم والهيكل وبئر يعقوب وجيريزيم . آه يا حبيبي ! ما أغبى الجسد وأضعفه حينما يواجه كلماته التى تقطر حكمة خلودا أبدية صريحة ! ان ملكوت السموات ليس هنا أو هناك ، لا يأتى بمراقبـــة . ليس فى أورشليم أو السامرة ، وهيكل الرب ليس أحجارا مزينة مصنوعة بأيادى الناس !

الحق يقول الحق ، ان ملكوتى ليس أكلا شربا ، ليس مكانا وزمانا ، بل هو داخلكم ، فى أعماق قلوبكم ونفوسكم والكنيسة الحقيقية أورشليم السمائية ، أمنا جميعا ، هى فى السماوات بناء من الله لا ينقض غير مصنوع بأيدى الناس ، أبدى . الهيـاكل هى أنتم القديسون الأبكار المحبوبين ، وروح الله يسكن فيكم وحال فى وسطكم . الصلاة المسيحية سجود بالروح والحق ، بأنات من الأعماق ، لأن المسيحية روح وحق وحياة . هذه هى أسس العبادة الجديـــــدة ، للعهـــد الجديد .

وفى النهاية .. استسلام وطاعة ومعرفة .

لعلك المسيح ؟ نعم « أنا هو الذى أكلمك » . كلمته حية فعالة وأمضى من السيف ذى الحدين ، لا ترجع فارغة بل دائما تصنع خلاصا ، قادرة بالله على هدم حصون الخطية المتشامخة واستئسار كل فكر وعلو يرتفع ضـــد . معرفته أنت هو المسيح ابن الله الحى ، مخلص العالم ، أنت الحكمة ، الطريق والحق والحياة ، نور العالم . إلى من نذهب وكلام الحيـــاة الأبدية عندك ؟ **وتركت السامرية جرتها فارغة جوار البئر .**

وهذه الجره كانت حياتها الأولى وقلبها العتيـق ! الأيام السالفة الفارغة ، والسنوات الهزيلة ، والأشياء العتيقـة التى مضت ، وبئر يعقوب الأولى .

فقد وجدت ذاك الذى يملأ لها ولك ، جرة جديدة للعهد الجديد ! يملأ قلبك ببهجة الخلاص ، فتجرى من بطنك أنهار ماء حى . وأما البئر الجديد فهى كنيسة المفديين المحبوبين ، حيث مياه جارية دائمة للعطاش ، للتطهير أيضا ، انفتحت ينابيعها من جنبه الطاهر على الصليب .

أعمى.. لمجد الله!

* « لتظهر أعمال الله فيه »

من الناس من تصيبهم المحن جملة، وتنصب على رؤوسهم البلايا مجتمعة ، كأنما حياتهم قد صنعت للعذاب ، وأهديت للآلام. وكان صاحبنا الأعمى ، قديس هذه الواقعة المؤثرة التى يرويها يوحنا الانجيلى، ممن تنطبق عليهم هذه الصورة بالتمام.

جلس تحت جدران متداعية أو أغصـــان شجرة فى الطريق ، مثل كومة رثة مهملة فى بؤسه و فقره وظلمته. تارة يشكو وتارة يستعطف ، تارة يستجدى وتارة يثور ويحقد. ولكنه يميل فى النهاية إلى صمت ذليل واطراق ، فيستسلم حرينا إلى عالمه الموحش، الذى صنعته له الأقدار من الظلمة الحـــالكة .

قليل من التأمل يلزمنى لأعرف بعض ما كان يبطنه ذلك القديس الأعمى . وليت العالم يدرك أنه محتاج إلى قليل من العاطفة والتأمل والاحساس ، قبل احتياجه إلى مزيد من علمه الكثير الذى قسم به الذرة ! فان ذرة من عاطفة صريحـــة واحساس خالص قد تنقذ الانسان من الآلام التى جرتها عليه حكمة علمه وعقله .

---

* انجيل القديس يوحنا ٩ : ٣ .

على أن هذه الكومة المهملة كانت نفسا حية قبل كل شىء ! وإذا كان العابرون به يمضون فى طريقهم لايلوون على شىء فهو انسان لا شبح ، روح وجسد. لحم ودم . ووأسفاه ! لم يكن له من يخفف عنه شيئا . حتى أبوه وأمه تخليا عنه للعالم الذى يدينه ويكرهه ، وقالا عنه خوفا من اليهود أمام المجمع « هو كامل السن أسألوه » . ولعله قد اشتاق إلى الموت وطلب الراحة، فلم يدرك حتى الموت وأخطأته راحة القبر أيضا .

وفى غمرة حياة هذه صورتها . عبرت جماعة كانت تجتاز الطريق . وعلى رأس الجماعة واحد ليس كسائر البشر. كان يسوع مجتازا ، بأقدام متعبة تبشر المتعبين براحة ، وعيون رقيقة تفحص أعماق القلوب ، لأنه رجل أوجاع ومختبر أحزان . لم يكن مجتازا تلك الساعة من قبيل المصادفة الطارئة ، فليست فى أفكار الله صدفة أو فى مشيئة السموات عوارض ، بل هو حتم بالأزمنة والمواعيد كل شىء . منذ ساعات قليلة كانوا يطلبون نفسه ليهلكوه رجما بالحجارة فعبر وجاز من وسطهم ، اجتاز ليلتقى بالقديس الأعمى لقاء العمر كلـــه .

وترامى إلى أذنى الأعمى صوت قوم مقبلين عليه ،

وسمعهم يتحادثون ويتشاورون فيما بينهم . وتعالى الهمس بينهم حينما وقفوا أمامه ناظرين متسائلين ، ثم دوت عباراتهم فى أذنيه كرعد يقصف «أهذا أخطأ أم أبواه . . حتى ولد أعمى » ؟

يا لعار الأرض وساكنيها ! إلى متى يظن الناس أنفسهم حكماء ، وهم بأقوالهم وأفكارهم يحكمون على أنفسهم أنهم جهلاء ؟ يرمونه بالوزر والخطيئة ويحملونه العار واللوم ، حتى قبل أن يولد إلى العالم ! كأنهم يعيرونه متهكمين « بالخطايا ولدت بجملتك » ، أو لعل الرب يفتقد ذنوب الآباء فى أبنائهم وذرياتهم إلى الجيل الثالث ؟ وطغى الألم العميق على فكرة المعذب ، وجازته سحائب الوحدة والاستسلام . كان عذاب جسده ، والآن عذاب نفسه ، وهذا أقصى ما يستطيع العالم أن يقدمه لأمثاله !

لا ليس أكثر الناس ألماً فى الحياة ، هم أكثرهم خطأ . وليس أكثر الناس مرضا وبلايا ، هم وحدهم المغضوب عليهم . أيها العزيز حسن أن تدين نفسك ، ولكن ليس حسنا أن تدين غيرك ولا ترى فى آلام الآخرين إلا عقـــابا وفى أحزانهم قصاصا ومجازاة ! فليس الله انسانا ليثأر ويحقد ، بل

هو اله الرأفة والحنان والحب . ولا بد أن هناك حسب ترتيباته حكمة ، وفى آلامنا تطويب ومجد . وقد تجهله جبلتنا الضعيفة ، ونتفرس فيه كما فى لغز معقد ، ولكننا حتما فى النهاية سنعرف ونفهم كل شىء . أما اليوم فيكفينا شره ، ولنتعلم الطاعة مما نتألم به كأولاد الله .

+ + +

وأخيرا جاءته عبارة رقيقة عذبة من الفم الذى لم يوجد فيه غش ، عبارة صاغتها النعمة المخلصة الفياضة . وبهذه الحاسة الخفيفة التى يسكبها الله فى العميان ، أدرك الأعمى عظمة الواقف أمامه وجلال طبيعته ! كان صوت الرب يسوع إليه صوتا لم ينصت إلى مثله قبلا طوال حياته الشقية . وكان تصريح السيد المسيح له المجد شديد الأهمية بالنسبة له ، وبالنسبة لكثير من الناس ممن يجتازون حياة شبيهة . جميـــع أولئك الذيـــن سقطوا فريسة الحزن العميق ، أو الفقر والأعواز الذليل ، أو العاهات المشوهة أو الأمراض الموجعة أو الوحدة المعذبة .

وجد الأعمى الاجابة على سؤاله المحير واستفساره المزمن فى طرفة عين ! حينما أعلن له المسيح « أنت أعمى .. لأجل مجد الله » !

وهذه حقيقة راسخة ينبغى أن يقبلها بلا قيد أو شرط كل من يؤمن بانجيل يسوع المسيح، ومن الصعب على من يرفضها الدخول إلى ملكوت السموات . وهى تعلمنا تعليما بالغ الأهمية لا يقبله طبعا أتباع حكمة هذا العالم ، لأن الانسان الطبيعى عنده جهالة من جهة روح الله وناموسه ، أما الذين هم فى ايمان يسوع ونعمته الفائقة فيعرفون الأمور الموهو بةلهم من الله « لأنه اعطانا بصيرة لنعرف الحق » .

أنت دخلت العالم ، لأجل مجدالله ، ولأجل مجد الله قد تكتئى وقد تعوز ، تشبع أو تجوع ، فى بصر أو عمى ، فى ملء وفى نقصان ، فى النور وفى الظلمة ، فى الصحة والمرض ، فى الحياة أو الموت . فى هذه جميعا يتمجد الله فينا وبنا ، فهل تؤمن بذلك وتقبله؟

فى كل شىء أرفع يدى بسرور ، أصلى صلاة الشكر ، وانتظر الله. ولذلك أسر بالضعفات والضرورات والضيقات ، لأنى حينما أنا ضعيف فحينئذ أنا قوى ! وقديما صلى بولس الرسول إلى الله كى تفارقه شوكة فى جسده مررت حياته وكفاحه العظيم ، ولكن ارادة الله قالت « تكفيك نعمتى فان قوتى فى

الضعف تكمل » وأيوب الذى كان الله يحبه ، سقط فى الطريق وحيدا من الجميع مضروبا بالقروح ، متروكا مهجورا يائسا ، حتى صاحت امرأته فى وجهه مرة أن جدف على الله ثم مت ، فأجابها بحكمة « الرب أعطى و الرب أخذ فليكن اسم الرب مباركا »

أيها العزيز — تعلم أن تشكر لا أن تشكو ، تبارك ولا تلعن ، فبطريقة ما قد لا تدركها تمجده فى ضعفاتك ، وفى شوكة الجسد ، فى القروح ، فى العمى ، فى العاهة ، وفى هذه جميعها « أعط مجدا لله » .

\+ + +

وتفل يسوع وصنع من التفل طينا ، وطلى بالطين عينى الأعمى . وانطلق الرجل فى هذه الصورة إلى بركة سلوام كى يغتسل ! وحقاً قل أن يوجد ايمان عظيم مثل هذا ، ايمان أقوى من العقل ، أعمق من المنطق ، وأبعد من حدود البصر ! آمن بطبيب لم يبصره ، وأيقن برجل لا ينظره. على كلمة الرب وثق فى التفل والطين والتراب ، وترجى فى مياه بركة سلوام الراكدة !

وهذا هو الايمان الذى يطلبه الرب يسوع « ثقة بما يرجى ،

وايقان بأمور لا ترى » ، تصديق بلا قيد بلا شرط ، لاحده تفسير وتعليل ، بل كقول السيدة العذراء « كل ما يقوله لكم فافعلوه » .

واذ اجتاز الأعمى اختبار الايمان ، الاختبار الذى بدونه لن يرضى أحد الله ، ابتدأ يحصد مما زرع . ومن يزرع الدموع يحصد بالابتهاج ! دموع دهر طويل من الظلمات ، من الشك من الانتظار ، من الحيرة ومن الرجاء ، أثمرت بعد طول زمان ابتهاجا وسرورا ، بصرا وضياء ونورا . مضى واغتسل فعاد بصيرا !

ربى والهى . . الآن أدركت بعض أحكامك وأفكارك ، تتأنى وتتوانى ، ثم تنزل وترى . تسمح بالجراح ثم تعصب وتشفى ! ليتمجد الايمان ، وتتبرر النفس الطيبة أمامك . ليتزكى الصديق ، وتكمل فى الضعفات قوتك !

فاذا اجتاز الرب أبواب بيتك وعتبة دارك داعيا مبشرا بالسلام ، فقم لتوك ، لا تستشر لحما ولا دما ، ولا تكن معاندا للرؤيا السمائية ، بل انطلق إلى سلوام العظيمة ، إلى الجلجثة والصليب ، واغتسل كما تشاء بالدم الذى نزف من جراحاته وجنبه المطعون بالحربة ، ففيه شفاء وبصيرة وتقديس

وتذكر أن ذاك مضى أعمى ، وعاد بصيرا . مضى فى ضعف ، وعاد فى ملء قوته . مضى فى حزن ، وعاد فى ملء الفرح يطفر ويهلل ويسبح « كنت أعمى والآن أبصر » .

صار له نور عينية ، واستناره قلبه بيسوع نور العالم ، حين قال بفرح « أومن ياسيد » وسجد له !

بكى يسوع

العدد الخامس والثلاثون من الاصحاح الحادى عشر من انجيل يوحنا الحبيب ، مكون من كلمتين فقط ، فهو اذن اصغر آيات الكتاب المقدس . آيه صغيرة فى الحروف لكن عظيمة المعنى غنية بالرموز والعاطفة ! وأقول العاطفة لأن انجيل يوحنا البشير وواقعة ليعازر بالذات لا يستكمل ادراكها بالعقل والمنطق فحسب ، بل بالعاطفة العميقة والاحساس والمشاعر المعبرة .

ينقل يوحنا قارئه إلى بيت عنيا الصغيرة ، الواقعة تحت أقدام أورشليم العظيمة. ويدون بدقة صورة العائلة الصغيرة فى محنتها وآلامها ، بعد أن رقد ليعازر فى القبر وله أربعة أيام . يصور يوحنا جو المأساة ، والحزن والمعزين ، والبيت الفارغ ، والأختين اللتين كان يسوع يحبهما ، فى بساطة واقعية تجعلك تحس بما يكتب كما لو كنت أحد الحاضرين هناك فى بيت عنيا فى ذلك اليوم . .

وينتقل يسوع مع جمهور المعزين إلى جوار القبر المنحوت فى الصخرة . وفى المشهد صياح وأنين ودموع ، وقد هوت

* انجيل القديس يوحنا ١١ : ٣٥ .

مريم ومرثا عند قدميه نائحتين فى استكانة وخضوع « لوكنت ههنا » ! ! وتجاوبت عبارات القوم من كل جانب « ألم يقدر هذا الذى فتح عينى الأعمى أن يجعل ذاك أيضا لا يموت » ؟ ثم خط يوحنا الشاهد العيان انفعالات الرب فى وجهه الحزين ، حين طفرت الدموع من عينيه فى هدوء وصمت ، « بكى يسوع » !

ما أكبر هذه الحروف أيها الانجيلى ! ! بكى « ابن الانسان » ، « ابن البشر » ، « رجل الأوجاع ومختبر الأحزان » . انسكبت الدموع على وجه من هو أبرع جمالا من كل بنى البشر !

بكى يسوع بأسى لأنه لم يخلق الناس ليموتوا بل للحياة . ولكنها الخطية ، والتعدى ، وصورة الاثم ، أدخلت الموت إلى العالم ، فاجتاز الموت إلى الجميع إذ أخطأ الجميع . وهكذا انسابت الدموع من عينى رب الحياة ، أمام صخرة القبر ، من أجل سائر الخليقة بسبب المعصية التى بها صارت الحياة مائتة . دموع لأجل ليعازر ، لأجل مريم ومرثا ، لأجل المعزين ، لأجل سائر البشر احياء وراقدين .. ممن كان للموت سلطان عليهم . دموع من ثبت فى قلبه العزم أن يشرب الكأس نفسها ،

وأن يتذوق بنعمة الله ألم الموت كى يبتلع الموت إلى غلبة ، وينير الحياة والخلود !

فاطلقى الدموع يا عيونى ، أطلقيها مثل سيل تغسل الخطية والمعصية ، بتوبة القلب لخلاص النفس . ولا تخجلى من دموع تسيل ، فقد يكون فيها فيض الرجولة ! وانها فى ضعفها أمضى من السيف الصارم ذى الحدين ، مثلما كانت دموعه المنتصرة أمام قبر ليعازر الحبيب !

أحب إلى المنتهى !

« أنا السيد والمعلم قد غسلت أرجلكم .. لأنى أعطيتكم مثالا »

قبيل آلام الرب كانت بين التلاميذ مشاجرة ، من يكون فيهم الأعظم ؟ أما نفسه الحزينة وانكسار قلبه ، فلم يتسع لها مكان فى أفكارهم المضطربة ومناقشاتهم المنحرفة ! وكم هو عجيب يا معلم أننا فى الجهالة وضعف الأفكار ، نفعل ما كانوا يفعلونه فى تلك الليلة ! فلا نرى الصليب الذى كان فى ملامح جبينك الطاهر ، وتخفى عن أعيننا الجلجثة التى كانت تطل من عينيك الساهرتين .

وعندئذ كانت اللمسة الرقيقة ، فى خدمة غسل الأرجل ، ليلة العشاء الربانى .

وقد كان لتلك الخدمة ظل ورمز قديم ! ففى سفر الخروج يقول الرب لموسى « خذ هارون وبنيه أمام المذبح ، واغسلهم بماء » المغسل أولا ثم المذبح ثانيا ، غسل الماء مبكرا ابتداء ثم الذبيحة ، اشارة إلى خدمة يسوع ليلة آلامه . إذ أنه كرئيس كهنة يملك فى بيت الله ، ويخدم المسكن الحقيقى غير المصنوع بأيادى الناس ، كان أمامه أن يغسل كهنته

* انجيل القديس يوحنا ١٣ : ١٤ ، ١٥

الحدد من كل ضعف، قبل أن يشتركوا معه فى خدمة العهد الجديد . وهكذا كان، انه قبل الجسد المكسور والدم المسفوك لرفع الخطايا والتكفير ، قد سبق غسل الأيدى والأرجل من التعديات والاساءات المتكررة كل يوم فى جهل وعدم معـــرفة .

وكانت أيضا خدمة محبة . فلم نستطع ريشة يوحنـــا الانجيلى أن تعطى صورة حية للمعلم بأكثر من هذه العبـارة، «يسوع أحب خاصته الذين فى العالم إلى المنتهى» ، هذا المنتهى الذى لا نهايه له ولا عمق. أن الكراهية تكشف عيوب الأخرين وتدينهم . لا تصلح ما فسد ، لا تحتمل الأخطاء ولا تغسل الدنس. أما المحبة فتتأنى وترفق، لا تغضب لا تفرح بالاثم، وتستر الخطايا والذنوب . واذا كنا نعلم جيـدا قيمـة المحبـه وعاطفتها فى لحظات وداع الآباء والأزواج والأولاد ، فيمكن أن نتصور لهيب محبته وهو يحاول أن يترك لهم شهادة تذكرهم به فى آخر لياليه معهم قبل الآلام !

وكانت خدمة تواضع ، ترمز بوضوح إلى سر التجسد العجيب . فقيامه عن العشاء ، يرمز إلى قيامه عن عرشه السماوى . وخلع ثيابه ، يرمز إلى خلع أمجاده الأولى . واتزاره بالمنشفة ، يرمز إلى اتخاذه جسد الضعف واخلائه نفسه فى هيئة

العبـــــد .

وفى تواضعه لم يترفع يسوع أن يغسل ويمسح جميع الأرجل ، حتى الاسخريوطى ! فقد كان له نصيب فى هذه الخدمة ، ولكن الشيطان كان قد ملأ قلبه وحواسه وأفكاره العمياء البائسة . فما أنبل قلبك يا ملكى ، أنك تغسل الأرجل الدنسة التى أسلمتك ، والأقدام التى أسرعت وخانتك ، والأيادى التى امتدت وباعتك ، والشفاه الدنسة التى قبلتك بالخيانة !

والخدمة ترمز أيضا لخدمة الكنيسة . فانه عـلى نفس المثال تقدر الكنيسة أن تغسل الذين يلوثون ذواتهم بأتربة هذا العالم ، تغسلهم بالتوبة من كل ما يدنس ثيابهم البيضاء . وعلى المثال نجد نفس الخدمة من الآباء والرعاة نحو أولادهم ورعيتهم حيث ينبغى أن القوى يحتمل ضعف الضعفـاء ، ويصلح الروحانيون بحكمة وتواضع كل من انسبق فأخذ فى زلة. وإذن لا بد أن يكون هناك تغتيش دقيق ، لابد من وجود مياه جارية فى المغسل بصورة مستمرة ، ولا بد من توبة صادقة واعتراف حسن بصفة دائمة. لا بد منها جميعها ، طـالما اننا ههنا غرباء نخطىء ونعثر جميعنا، وذلك من أجل كل أخ وأخت

مات المسيح لأجله !

ولماذا تبدو خدمة كنيسة اليوم احيانا باهتة ، والرعاية غير مثمرة؟ربما لأننا لا نحب قدر ذرة مما كان يسوع يحب فى تلك الليلة. وربما لأننا نملك من الكرامة وكبرياء النفس ، ما يجعلنا غير قادرين على أن تنحنى ركبنا على الأرض بالقدر الكافى الذى جثت به ركبتاه فى تلك الليلة ! وربما لأن الايمان فاتر والعزيمة خائرة والعيون ثقيلة بالنوم . وربما لأن فى العين خشبة ، تحجب عنك عيون اخوتك !

فكم نحن محتاجون أن نذكره جيدا ، وهو يخدم بتلك الصورة المجيدة ، محاولين أن نصنع كل شىء حسب المثال وراء خطواته . سالكين بروح التوبة والغسل الحقيقية التى كان الماء رمزا لها ، كى نكون دائما مستعدين بلا عيب وكقول الرسول مرشوشة قلوبنا من ضمير شرير ومغتسلة أجسادنا بماء نقى » .

جرحت يا حبيبى !

«ما هذه الجروح فى يديك .. هذه التى جرحت بها فى بيت أحبائى»*

اللحظات الأخيرة الوداعية فى بستان الجسثيمانى ، حيث أمضى يسوع ليلته فى مجاهدة وصلاة . وكم أثرت ساعة الجسثيمانى فى كل قارىء خاشع ، وانفعل بها كل قلب حزين وكل نفس متألمة !

هنا فى غمرة الهدوء الشامل ، لا يسمع إلا همس الريح لاغصان الزيتون وهى ترقب آلام قلبه الموجعة . وفى وحدته القاسية تساقطت تحت قدميه الأوراق الذابلة ، لتقدم عزاء الطبيعة لنفس كانت حزينة حتى الموت !

نام التلاميذ واستراحوا ، غلبهم التعب والحزن على أمرهم ، فاستسلموا لضعف الطبيعة البشرية . أما لهيب صلاته وتضرعاته ، وأنينه الخافت الموجع ، فقد امتلأ بها الليل الكبير الواسع ، وحملها إلى الآب ملاك نزل من السماء لحظة يقويه ، وفيما كان يشرب كأسه وحيدا ، ويدوس معصرته ويصطبغ بصبغة دموية قانية !

* سفر زكريا النبى ١٣ : ٦ .

ومن ناحية أور شليم النائمة ، حبيبته وقاتلته ! حملت الرياح إليه أصوات الجمهور الكئيب مقبلا عليه . تفكروا بالباطل ، وقاموا معا على مسيح الرب ، ليلقوا عليه الأيادى ، أيادى الظلم . مؤامرة الأشرار ، طريق الخطاة ، ومجلس المستهزئين ، فقد كانت هذة ساعتهم وسلطان الظلمة !

وفى النور المشرق من بدر الفصح فى علاه ، وعلى ضوء مشاعلهم ، أبصر الرب وجوه الخزى وعرفها . أبصر الوجوه القبيحة والقسمات الغليظة والسواعد العنيفة . أبصر رجالا هو مزمع أن يموت لأجلهم ، مصالحا وفاديا ومخلصا ! ليغفر لهم الزلات والآثام ، ولا يعود يذكر تعدياتهم ، واحتيالهم الدنىء لموته .

وفى الصف الأول من الجماعة ، وجد واحدا يعرفه تمام المعرفة . فى المقدمة صاحب ، قسماته معروفة وملامحة محفوظة ، فلماذا جئت يا صاحب هذه الساعة المظلمة؟ لماذا اخترت رفقة هذه الجماعة الشريرة بدلا من رفقته ؟ ومن أين أنت قادم ، وإلى أين نهاية المسير ؟ ما الذى احتواه قلبك وأى شىء لامع قبضته يداك؟ فى خطواتك تردد وخذلان ، وساقاك ترتجفان ، وفى عينك بريق جشع ولمعان مشين !

كل الخطاة غفرت خطاياهم ، وكل هذا الجمع سامحه يسوع ! لانهم فعلوا بجهل فى عدم معرفة ، فلو عرفوا لما صلبوا رب المجد . أما أنت يا صاحبى ، يا رجل سلامتى وأمانتى ، يا آكل خبزى ، فكان خيرا لك لو لم تولد ! الويل ليهوذا الاسخريوطى ، فان كل التجاديف والاساءات غفرت إلا خطيئته المميتة ، لأنه كان يعرف يسوع معرفة اليقين ، ابن الله الوحيد الحبيب .

ثلاث سنوات تتبعه يا صاحب ، وكم كانت رفقته رقيقة أيها التلميذ المتمرد ؟ ولكن ليس خفى لن يعرف ولا مكتوم لن يستعلن . فان الحسد والخيانة والجحود كشفت عن نفسها بعد أن ظلت مستترة فيك ثلاثة أعوام ، حين خرجت من وليمة بيت عنيا إلى جماعة المتآمرين على نفس يسوع البريئة . ساومتهم مساومة وضيعة على نفسه . طلبت أكثر فطلبوا أقل ! تارة بالاغراء ، وتارة بالوعيد ، وفى النهاية تمت المشورة برضا الجانبين ، بثلاثين من الفضة ثمن المثمن الذى باعوه ، ملك الملوك !

جرحت يا حبيبى .. جرحت بيد واحد من مختاريك ، رجل أمانتك رفع عليك عقبه . وحين اشتهيت فى ذلك المساء

أن تأكل الفصح مع الذين أحببتهم إلى المنتهى ، أجلسته إلى جوارك وسمع أنينك الخافت المتوجع وأنت تنطق عبارة الحزن العميق « الحق أقول لكم أن واحدا منكم سيسلمنى ». وكسرت الخبز وباركت ، ملأت الكأس وشكرت ، وقدمت له أيضا فلم يتراجع أو يلين !

ولما ائتزر يسوع بالمنشفة وصب الماء فى المغسل وغسل أرجل تلاميذه ، كانت منها قدمان أزمعتا السير فى وحل الجحود والخيانة . وفى النهاية غمس يسوع اللقمة فى الصحفة وأعطاها ليهوذا ، والتقت عينا الرب الصافيتان الدامعتان ، بنظرات الخيانة والسقوط فتمتمت الشفتان المرتعشتان « هل هو أنا يا معلم » ؟ وجاءت كلمة الحق الصريح « أنت قلت » .

وأغلق القلب فى وجه النعمة اغلاقا أخيرا ، وللوقت دخله الشيطان . قام عن العشاء وخرج ليلا فى طريق معلوم ، وكلمات يسوع تصم أذنيه كالرعد القاصف « ما أنت فاعله فأفعله بأكثر سرعة » . وفى البستان الباكى ، جاء الصاحب على رأس الجماعة ! وتقدم إليه وقبله ، قبلة صارت مثلا فى الجحود ، ونادى متلعثما « سيدى ، يا معلم » . ولكنه من تلك الساعة لم يعد لك يا يهوذا سيدا أو معلما . قيدوه وأوثقوه

أمامك ، لعنوه ولطموه قدامك ، وكأنما على لص خرجوا عليه بالسيوف والعصى .

يا يهوذا قد كتبت صفحة دينونتك بأناملك ، فان الخطية **الميتة تحمل معها بذرة قصاصها .. القبلة الغاشة قد احرقت شفتيك والثلاثون من الفضة الهبت كفيك ..** هلاك لا ينعس ، نار لا تطفأ ، ودود لا يموت ! والصرخة المعذبة فى فلك « انى أسلمت دما بريئا » !

وفى الصباح الباكر كان يسوع خارجا حاملا صليبه ، وكان يهوذا معلقاً بين السماء والأرض ! تلك خاتمة مأساة نفس مدانة ، وحياة محزنة تركت طابعها المفجع فى كل الأجيال . سقطت عنه رتبته وأعطيت لآخر ، وحصد اللعنة والهلاك ، وله اسم الخزى إلى الأبد « يهوذا الاسخريوطى الذى أسلمه » .

ملك السلام

« سلامى أعطيكم ، ليس كما يعطى العالم »*

ان بستان الجسثمانى قد ازداد خلودا بتصريحاتك العجيبة ! أحاطت بك جماعة الأشرار لتهلك نفسك البريئة ، واكتنفتك أحبال الهاوية والموت . وفى وقت تلك الشدة العصيبة كان من حقك الدفاع عن ذاتك وجماعتك ، حقا مشروعا فى الناموس وغير الناموس. أما أنت فرفضت مشورة الأقوياء، ورددت السيف إلى الغمد !

يا الهى انك لا تسر بسباق الرجل وقوة الفرس . لا تحب المركبات ، ولمعان السيوف . تأثر قلبك الرقيق بمنظر الدماء تسيل من أذن العبد، بعدما قطعها سيف بطرس المنفعل، فلمست الجرح لمستك الشفيقة وأبرأت !

وكان هذا تنفيذا مباشرا لتعاليم الخلود فى موعظة الجبل. والظروف الحرجة وأزمنه الشدة لم تغيرا حرفا من تعاليمك أو مبادئك . لا تزال ترفض مقاومة الشر بالشر ، مسالما جميع الناس ، ممن يعطفون ولا يعطفون .

لا تقوم مملكتك على السيوف والرماح . وعندما تغلب

* الانجيل القديس يوحنا ١٤ : ٢٧ .

العالم ، وتسود الرئاسات ، وتشهر السلاطين جهرا، فليس هذا بامكانيات القوة البشرية ، بل بسلطان الروح وقوة الصليب. وعجبا أن نرى امبراطورية الرومان بسيادة العنف ، قد سقطت بالسيف كما قامت بالسيف ، ولم يأت القرن الخامس حتى كانت قلاعها ، أبراج كنائس المسيح !

ان روح الصليب تفعل فى النفس البشرية ، ما لا تستطيع ان تحققه ذرة أو صاروخ . ان روح البستان الرقيقة ، جعلت الجمع الشرير يسقط إلى الوراء من الفزع . وهو يستأسر لنفسه طاعة كل فكر وعقل حين يقول «سالموا جميع الناس» ، « أحبوا أعداءكم » ، « لا تقاوموا الشر » ، « ان جاع عدوك فاطعمه وان عطش فاسقه » ، « رد سيفك للغمد » .

أما هو فقد شرب كأس الخلاص الدامية بالرضا وتراجعت جيوش ملائكته إلى الوراء حزينة مقيدة ، وبارادته لم تتقدم لسحق أعدائه وهم يوثقونه ويلطمونه مستهزئين .

فماذا يمكن أن يقال فيك يا ملك السلام ؟

الشاهد العجيب

« وللوقت صاح الديك » *

دوت صيحة الديك كمثل صوت رعد قاصف ، تردد صداة فى صفحات الاناجيل الأربعة كلها. ولازم صياحه اذنى سمعان بطرس من تلك الليلة المظلمة ، حتى اليوم الذى انخلع فيه مسكنه من الأرض !

صيحة الديك انقذت الرجل الذى قيل عنه إنه صاحب المفاتيح السمائية ، انقذته من هاوية الاسخريوطى السحيقة ! نظر إليه الرب يسوع فتجدد قلب كان ناكرا جبانا ، وخرج التلميذ خارجا يكتب توبته الخالدة بدموع مريرة. وهكذا كان الطائر الجميل ، رسولا كاملا كما تعنى الرسالة .

كانت ليلة ليلاء ، وخيوط الفجر الأولى بدأت تتجمع من بعيد ، والقوم فى أورشليم يغطون فى نوم ثقيل . وفى أحد أركان المدينة العاصية كان مشهد محاكمة ظالمة ، والمحكوم عليه يشرب كأسه جرعة جرعة ، ويسكب ذاته النقية قطرة فقطرة ، وتحترق أحشاؤه بنار الاثم المضطرمة فى طبيعة البشر

* انجيل القديس متى ٢٦ : ٧٤ .

الطغاة. وخارجا فى الدهليز الكبير كان انسان يتخبط متعثرا ، كان تلميذ المعلم الكبير يهرول هاربا من العبيد والجوارى ! عوض أن يقف إلى جوار سيده الذى أحبه ، شاهدا أمينا فى ساعة لم يكن يسمع فيها سوى شهود الزور !

وذابت الأرض خجلا ، حينما اختار الله شاهدا آخر. اختار طائرا ملونا أعجم يصيح وسط الهدوء الشامل ، صيحة كلها خلاص وأمانة واعتراف . صيحة من الأعماق ، فيها تذكير وتنبيه ورثاء ، من الاعجم إلى الانسان ، ومن الأخرس إلى من ينطقون !

دوت صيحته بلحن جميل واضح ، بينما كانت كلمات بطرس بصوت خافت مخجل «لست أعرف هذا الانسان». فكان الديك شاهد أمانة واعتراف ، وسمعان شاهد زور وبهتان ! وصارت صيحة هذا الديك أنشودة ، غطت بجمالها على القبح والجحود فى كلمات سمعان ، التى لحنها بالقسم الكاذب ولعنات رددتها شفتاه .

كان سمعان يصيح « لست أعرف ذلك الرجل » ! والديك يصيح بل تعرفه معرفة اليقين ! عاينته منذ البدء بالبصر والسمع والادراك والحياة ، ابن الانسان صانع المعجزات ، المسيح

ابن الله الحى ، بل وجاهرت أمامه فى نفس تلك الليلة انك تضع ذاتك عنه إلى السجن وحتى الموت !

أيها الرسول الأمين . . ان كنا غير أمناء ، فانت الأعجم كنت أمينا ! وبصيحتك أيقظت ضميرا من سباته ، واشرقت فى قلب كان فى طريقه إلى الهاوية . بصيحتك رددت ضالا ، وخلصت نفسا من موت إلى حياة عظيمة خالدة يضىء فيها نور المسيح إلى الابد .

سارق السماء

« اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » *

كانوا ثلاثة ، يسوع فى الوسط ، ولصان واحد عن يمينه والآخر عن يساره !

أما « يسوع » فانى أتحير من اختياره لرفيقيه فى ساعات حياته الأخيرة فى العالم . قد اختلط وامتزج بكل أنواع البشر ، من الأخيار والأشرار وأصحاب الميول الدينية والدنيوية ، ثم آثر أن يكون اللقاء الأخير مع رفيقين من طراز جديد ، ليعلن أنه ليس لدى الله محاباة !

إن المجتمع الإنسانى والعدالة الأرضية لفظا هذين اللصين من كورة الأحياء ، فشاءت السماء أن يكون لقاؤهما الأخير مع المسيح ! حيث تستطيع كل نفس جريحة خاطئة منكسرة ، أن تجد قلبا واحدا مفتوحا على مصراعيه ، بعد أن أغلقت فى وجهها كل القلوب والوسائل البشرية !

كان الشريكان من قطاع الطرق والمتمردين . أبغضهم العالم فأبغضوه ، وحقدوا على الساكنين فيه . تدرب قلباهما

* انجيل القديس لوقا ٢٣ : ٤٢

على الغدر والحقد والبغض ، وسارت أرجلها سريعا فى طريق الدم والشهوة ومسالك الهلاك ، إلى أن شاءت الأقدار أن يقع الشريكان فى قبضة العدالة الأرضية ،ويساق كلاهما للموت صلبا عبرة للعتيدين أن يفجروا . .

ومن خلال قضبان السجن والأسر المرير ، كانا ينتظران بصيصا من أمل ، فالفصح على الأبواب ، وللوالى أن يطلق كل فصح أحد أسراه .ولكن خيط الأمل الأخير قطع حين دوى فى الفضاء صوت الشعب الصاخب «أطلق لنا بار اباس» وخرج باراباس إلى الحرية والحياة ، لأن البار قد حمل عنه قصاص الموت والعار !

ولم يدرك اللصان شيئا عن ذلك اللقاء العجيب الذى كان مقبلا عليها مع الرفيق الجديد ، ولم يفهم « ديماس » أن مجرى ساعات حياته المقبلة سيثير فى قلوب كل الأجيال أعمق الاحساسات وأدق المشاعر المؤثرة .

ودنت ساعة اللقاء خارج أبراج أورشليم العاصية ، عند « الجلجثة » . وهناك فوق الرابية أمعن اللصان النظر فى الشريك الثالث ، فلم ينظرا إلا إنسانا فاق البشر بهاء وجمالا ، وقد غطى العار والحزن وجهه وانسكب دمه من

جراحاته الى جرح بها فى بيت خاصته وأحبائه .

وأخيرا رفعت الخشبات ، وعليها أصحابها الثلاثة !

ونظر الرفيقان فى آلامها إلى الصليب الأوسط وصاحبه المعذب ، ثم انطلقت الألسنة التى لم تعرف إلا السباب والشتائم كوسيلة للمخاطبة ، انطلقت لتجدف وتلعن ذلك الشريك الضعيف ، بلا سبب ، مشتركين مع جمهور العابرين والساخطين ، بينما قضيته مكتوبة على صليبه « يسوع الناصرى ملك اليهود » . وعبر الوقت بطيئا ، وماتت عبارات التهكم والتجديف على شفاههما الباهتة الجافة ، فأخلدا إلى الصمت والسكون .

وتكلم ابن « الانسان » أخيرا ! تحركت الشفاه الحكيمة بعد صمت طويل ، لتخرج منها عبارات لا يسوغ لبشر أن ينطق بها . تكلم الصامت ! فخرجت مع كلماته البسيطة تلك النعمة الجارفة والمسامحة العميقة ، لتأسر وتغزو حتى أقسى القلوب الغادرة والغليظة . . قدم صك الغفران والتسامح مجانا لصالبيه ومبغضيه وطالبى نفسه البارة ، متضرعا لأجلهم ، « يا أبتاه أغفر لهم لأنهم لا يعلمون ما ذا يفعلون » !

ولم يكن ممكنا أن تعبر هذه العبارة الأبدية دون أن تثمر .

وكما أن الشمس تصهر الشمع بحرارتها، ولكنها تقسى الطين وتحجره ، هكذا غزت كلماته الملتهبة قلب « ديماس » اللص اليمين ، ففتحت أبوابه التى أوصدت طويلا واندفعت إلى أعمق أعماق نفسه المتمردة . . ولكنها، وقفت عاجزة حائرة أمام قلب مغلق حمله اللص الأيسر !

وفى خلال فترات السكون والألم عبرت أمام ناظرى « ديماس » صفحة حياته المظلمة القاتمة .حياة بلا رجاء، بلا إله بلا سلام، مضت سريعا كما بدأت فى ظلمة الخطيئة الخاطئة جدا ومسالك الشر الملتوية .

وإذا كان زمان الحياة الذى مضى باطلا ، قد خلق منه انسانا فاقد الحس والشعور فى نظر العالم ، فان بقية من ضمير طال سباته قد تيقظت فى ساعاته الأخيرة وهو يعانى سكرات الموت ، على صوت تلك الكلمات العذبة المؤثرة التى خرجت من فم المصلوب العجيب !

كان اللص الأيسر لا زال يتكلم بلسان التهكم موجها عباراته إلى يسوع « خلص نفسك و إيانا» ، أما اللص اليمين فتكلم بلغة التوبة والاعتراف الحسن . أدرك فى لحظـــات ما عجز ببلاطس البنطى ورجال الكهنوت اليهودى عن

إدراكه ، وصاح موبخا رفيقه « أفلا تخاف الله » ؟ الذى لم يعرف فى قاموس حياته معنى الشفقة ، أدرك وهو على أبواب الأبدية أن رأس الحكمة مخافة الله . فاعترف انه بعدل ينال استحقاق ما فعل ، ومع كونه لم يهتم طيلة حياته أن يعرف حرفا واحدا من الناموس، فانه أدرك أخيرا أن الدينونة عادلة، وذلك فقط فى نور المسيح مصلوبا حين جاهر ديماس عن يسوع قائلا« أما هذا فلم يفعل شيئا ليس فى محله » .

طوباك أيها اللص اليمين ، لأن هذه كانت الشهادة الوحيدة الحسنة التى تفوه بها هذا الغريب ليسوع ، حين لم يكن هناك ولا شاهد واحد يقف إلى جوار « ابن الانسان » ، حتى ولا « بطرس » صاحب المفاتيح السمائية الذى كان فى الخارج « يبكى بكاء مرا » .

كان خلاص «ديماس » فى تلك اللحظة أقرب إليه من ظله ، فتلفت إلى يساره ليرى مشهدا كان حاسما فى حياته .

رأى الدم والعرق والآلام والشوك والجراحات .

رأى المحبة والغفران والمسامحة والسلام مجتمعة معا .

ومن وراء هذه جميعها رأى مخلصه وملكه المصلـــوب ودخلت النعمة الجارفة إلى أعماق قلبه الكسير ، فصاح صيحة

داوية رددتها أجيال المؤمنين وراءه « أذكرنى يا رب متى جئت فى ملكوتك » .

وعبرت على نفس المسيح الحزينة ، سحائب السرور والابتهاج فانه من تعب نفسه رأى وشبع ، فى انسان كان ضالا فوجد ، وكان ميتا فعاش ! كانت كلمات اللص فى أذنيه أوقع من ترتيل الملائكة عذوبة ، فأجاب الرب ليهب اللص ميعادا لم ينله أحد قط « اليوم تكون معى فى الفردوس » !

وانتهت مغامرة لص عند هذه الكلمات ، لص ليس كمثل كل اللصوص ! لأنه لما كان لصا بطبيعته طوال أيام حياته ، فقد شاء وهو على أبواب الأبدية أن يغامر فى سرقه من نوع جديد ، سرقة السماء وفردوس النعيم . فاختطفها الأمين قبل سائر الأحياء والراقدين ! !

وأظلمت الشمس من الظهيرة ثلاث ساعات . وأبصر سارق السماء قوة ابن الله تعمل فيه ، وهوى حمل الخطايا الثقيلة تحت أقدام يسوع ليختفى مرة واحدة إلى الأبد فى قطرات الدم الثمين ! وأنصت الرجل إلى ملكه وهو ينطق بعبارات الأبدية ، الواحدة تلو الأخرى ، إلى أن أسلم روحه البارة بعد أن أكمل كل شىء .

وحين كانت الشمس الغاربة تودع أورشليم العاصية ، من وراء الأفق الأحمر ، جاء عسكر الرومان فكسروا سيقان اللصين . وبينما كان سارق السماء يلفظ أنفاسه ، نظر إلى ملكه . . فعاين الحربة والجنب المطعون ، وينبوع الدم والماء . ثم انطلق إلى لقاء سيده فى الفردوس المسروق ، كحسب وعده الأمين !

أيها القارىء العزيز ، ليتك تتعلم الحكمة والأمانة من ذلك اللص الطوباوى ، الذى أدرك قيمة النفس والحياة والخلود فى ساعته الأخيرة . هى نظرة واحدة إلى المصلوب وأنت واقف فى ظلال صليبه ، حيث سال ينبوع من دم الغفران والتجديد ، قطرات من الحياة الأبدية . فقم واغتسل واسرق خلاصك ورنم مع اللص اليمين « اذكرنى يارب متى جئت فى ملكوتك » .

لماذا الموت ؟

« يسوع نراه مكللا بالمجد والكرامة .. لكى يذوق بنعمة الله الموت لأجل كل واحد .. لكى يبيد بالموت ذاك الذى له سلطان الموت أى ابليس، ويعتق أولئك الذين خوفا من الموت كانوا جميعا كل حياتهم تحت العبودية » .*

اراد كاتب السفر بهذه الكلمات ، أكثر من مجرد الموت ! لأنها تنطوى على الموت فى حالة الوعى والادراك ، واختبار الموت بأتم معناه . وحين أفكر فى يسوع وهو يذوق الموت ، يخيل إلى أنه هو وحده الذى تذوق الموت حقاً !

فانه لم يتذوق موت الجسد فقط ، ولكنه وهو البار الطاهر بلا خطية أو شبه خطية ، قدم ذاته بارادة واعية ووضعها بقبول غير مقيد ، ليتذوق بالسرور أفظع آلام الموت — أعنى الانفصال — الذى هو نتيجة الخطية وشوكتها . لذلك حق له فى الصليب أن يتوجع وهو يرفع صوته الحزين بنبرات الأسى العميقة « إلهى إلهى لماذا تركتنى »؟

وقد فعل ذلك بنعمة الله الغير مستقصاة ، بقداسة ورضا ، وبحب عظيم فائق من أجل كل البشر الذين يخطئون ، نعم ومن اجل كل واحد فى الجسد فصار لاى إنسان حق الإشتراك

*رسالة القديس بولس للعبرانيين ٢ : ٩ ، ١٤ ، ١٥ .

من أجل كل واحد فى الجسد ، فصار لأى انسان حق الاشتراك فى هذا الامتياز الذى جاء المسيح لأجله ، بالايمان الحى فيه .

ولا يستصعب أحد الاعتراف بتلك الحقيقة ، فانه لم يكن أمرا شائنا ولا يحط من مجد ابن الله . بل ان ألم الموت صار بالنسبة له اكليل مجد وكرامة ، ورفعة فوق رفعة . اذ أعطى اسما فوق كل اسم ، وهو آت أيضا بأبناء كثيرين إلى المجد بعد أن كمل بالآلام .

وقد تذوق يسوع الموت ، لكى يعتقنا من خوف الخطية والموت . فانه على الرغم من البسالة والشجاعة التى يتحلى بها الأبطال وصلاب الرجال ، كان الخوف من الموت يسود الجميع . وخوف الموت هو خاتمة بلايا الانسان وآخر شروره ، ويثير الرعب المريع من توقع الدينونة والجزاء ، وصرامة تبكيت الضمير وانفعالاته . ومن هذه الحقيقة استمدت شرائع الله قوتها وسيطرتها على كل الناس فى كل الأجيال .

وجاء المسيح ليزيل الآلام الفظيعة التى تصاحب تبكيت الضمير ، ليقدس صاحب الضمير ويعتق الذين استعبدهم الخوف من الموت والقصاص والدينونة . وتم هذا بنصرته التامة

على الموت ،وعلى ذاك الذى له سلطان الموت أى أبليس .

ففى المسيح ينتفى الخوف من الموت ،وما بعد الموت ! فلا شىء من الدينونة على الذين هم فى المسيح يسوع ، ولاعبودية خوف ، بل حرية مجد أولاد الله وأحبائه ، ولا انفصال وعزلة موحشة ، بل الجميع فى الواحد ومن الواحد .

إذ هو كرز بالانطلاق للأرواح التى فى السجن وفى الهاوية ،مطلقاً اياها إلى الموضع الذى هرب منه الخوف والحزن والكآبة والتنهد ، لأن الله معنا إلى الابد .

خرستوس أنستى

« ليس هو ههنا ، لكنه قام » *

كانت الشمس تميل إلى المغيب ، والسبت يلوح ، وقد أغلقوا عليه القبر بحجر عظيم . ثم تلاشت أصوات المرنمات الهالعة ، وسكن صوت النواح والأوجاع ، وخفت وقع الأقدام المتباعدة .

وفى هذه الساعة لم توجد جماعة أكثر ضعفا وحزناوانكسارا من جماعة الرب . فكيف كان ممكنا أن يحدث بعدئذ كل هذا الذى حدث ؟ القصبات المرضوضة صارت أعمدة وهيا كل ! انقلب الحزن فرحا ، والهوان كرامة ، والخزى مجـــدا ! والعشرات القليلة صارت ربوات وربوات ، مثل رمل البحر ونجوم السماء فى الكثرة ! ليست هناك إلا إجابة واحدة تشرح كل ما كان ، أن يسوع قد قام من بين الأموات . القبر فارغ والحجر مدحرج ، ورئيس الحياة ليس ههنا بل فى أعلى علو السموات !

* انجيل القديس لوقا ٢٤ : ٦ .

ربنا نفسه يسوع المسيح ، بكل سلطان وارادة وثقة ، أسلم نفسه . وقع فى الأرض ليموت ، ثم يحيا بقوة ومجد عظيم . ان اقدامه عرفت الطريق إلى القبر ، واقدامه أيضا تعرف الطريق خارج القبر . يعرف كيف يدخل ، ويعرف كيف يكون الخروج والاجتياز . يعرف جيدا أن يقول « أنا اضطجعت ونمت واستيقظت »، ويعنى جيدا ما نادى به « انقضوا هذا الهيكل وأنا أقيمه فى ثلاثة أيام »، مشيرا إلى هيكل جسده . حقاً هو القيامة والحياة . إنه إله أحياء لا إله أموات . وهكذا كانت قيامتك يا يسوع ، لا تقاومها حراسة أو تمنعها سيوف أو رماح .

وبالقيامة تمت خدمة الفداء ، وبدأت الصفحة الأولى من السفر الجديد ، سفر الكنيسة المنتصرة ، التى لا نهاية لأعمالها وأيامها إلى دهر الدهور . بدأت هذه الصفحة الأولى فى الصباح الباكر من أول ذلك الأسبوع الفاصل فى التاريخ . فمن تلك الساعة المبكرة إلى اليوم يعطى يسوع اسما فوق كل اسم ومجدا فوق كل مجد ، فى المشارق والمغارب حيث يكرز بقيامته المفرحة .

ولقد حارب أعداء الكنيسة ايمان الكنيسة بالاضطهاد فى

البداية ، فكانت حقيقة القيامة هى الصخرة التى تحطم عليها الاضطهاد . واليوم يدرك الذين لا يؤمنون ، ان القيامة أيضا هى التى تقف حجر معثرة بينهم وبين الذين قبلوه ، ولكننا نسائلهم لماذا تعد أمرا لا يصدق ، القيامة من بين الأموات ؟

الذى أوقف مشهد جنازة محزنة خارج أبواب « نايين »، ليرد شابا وحيدا إلى أمه من براثن الموت ، ألا يقدر هو نفسه أن يجتاز القبر المغلق إلى فجر القيامة والخلود ؟ والذى أذهل العالم وتحدى البشرية أمام مغارة رقد فيها جسد ليعازر أربعة أيام ، وأخرج الميت خارجا مستسلما لنبرات الذى دعاه من الظلمة إلى النور العجيب ، ألا يقدر أن يقيم نفسه ؟

وقالوا إنها اشاعة ! فمن سمع باشاعة استطاعت أن تغير مجرى التاريخ ، وتبطل الرئاسات والسلاطين ، وتجدد حياة الربوات والملايين ؟

كل شىء تغير لانه قام . فقد حمل يسوع لتلاميذه أخبار الحياة الجديدة ، حياة تمتد امتدادا عجيبا بلا نهاية أيام إلى الأبدية . حياة المدينة الجديدة ، مدينة الله المزينة لأجل عريسها الحبيب ، بلا ألم وبلا دموع . وما أعذب الأخبار السارة والكلمات السعيدة التى أنصت إليها أحباؤه ، طوال الأربعين يوما بعد قيامته .

فلماذا نخاف نحن اليوم ؟ أن المجهول كان يحمل معه دائما الخوف والحزن والقلق للانسان ، ولكن بعد ما قام يسوع ، لا خوف أو خشية من الغد لأنه أعلمنا بكل شيء . ثق فقط أيها العزيز ، ولا تعود تخاف بل آمن بعبارته العزيزة أنه يقيمك معه فى اليوم الأخير ، ووعده الأمين « من كان حيا وآمن بى فلن يرى الموت إلى الأبد » .

فى هذا الايمان كان بولس يمات كل النهار ، وهـــذا من أجل الرجاء الذى زرعته فيه قيامة الرب. وفى هذا الرجاء كان بطرس يمنطقه واحد وآخر يحمله إلى الصليب ، لتنتزع حياته الأرضية بعنف وقسوة . لكن هيئة المسيح الذى قام حيا وأوصاه ثلاثا أن يحبه ويرعى خرافه، كانت أقوى من أن يفصله عنه الموت الجسدى . وفى هذا الرجاء كان اسطفـانوس الشهيد الأول يتمزق ويموت ، ولكن وجهه الملائكى المشرق كان شاخصا إلى علو السماء، ليرى ابن الله ومجده قائما حيـا عن يمين العظمة .

هناك حيث أخذته السحابة عن عيوننا ، زمنا ، إلى أن يجيء .

مازمرقس

« وتبعـه شاب .. » *

فى ليلة الآلام الأخيرة حينما سارت قدماه فى ساعات جهاده العظيم فى البستان ، وأمام محاكميه وقاتليه حين تبادلته الأيدى الجاهلة وبصقت عليه أفواه الكلاب وجلدته أذرع الأثمة والخطاة . . كان ابن الله ينسحق بالآلام ، وحيدا من الأحباء والأصدقاء ، وحيدا من التلاميذ المعزين والشهود الأمناء . وكانت هذه الوحدة وهذا الجفاء من الطبيعة البشرية الخائفة الضعيفة المتغيرة ، أمر على نفسه من الجلد والصلب والجراح !

كان يعاين الوحدة حينما باعه التلميذ الخائن رخيصا لقاء ثلاثين من الفضة . . وكانت القبلة الغاشة الآثمة تجوز فى نفسه الشريفة مثل سيف ذى حدين . ثم لمـــا صـــــاح الديك كان ينظر لبطرس بعينين التهبتا بالرثاء الحزين ، للصخرة صاحب المواعيد وحامل المفاتيح السمائية !

---

* انجيل القديس مرقس ١٤ : ٥١ » .

وعندما أسلم يسوع تحت أستار ليل مظلم ، كـــان يتبعه من بعيد شاب لابسا ازارا على عريه تبعـــه فى خطوات متعثرة ، فى قلبه خوف عظيم ، وفى نفسه رعب وشك . وفى جو من الهلع أمسكه الشبان على أنه واحد من أتباع يسوع وتلاميذه ، وللوقت تنكر لمعلمه للوديع ، تنكر مثل الآخرين ! وانطلق هاربا وترك الازار بين أيديهم ، على عريه المخزى !

كانت هذه هى الصفحة التى افتتح بها القديس مرقس حياته وجهاده من أجل المسيح ! وهو وحده الذى رواها ، ولم يذكر اسمه فى الواقعة خجلا من ضعف بشريته !

ولكن ! الذى رأى اسرائيل فى شخص يعقوب . ودعا داود من وسط الأغنام لرعاية شعب ، والذى رأى الصخرة فى ضعف سمعان ، وعاين بولس فى قسوة شاول الطرسوسى ، هو الذى جعل من آنية الهوان آنية الكرامة ، ومن القصبة المرضوضة عمودا فى هيكله ، ومن الفتيلة المدخنة أوقد سراجا وفى الضعف أكمل قوته !

فبيد مقتدرة وذراع رفيعة جعل الرب من الشاب الهارب كاروزا عظيما ومبشرا ، خادما أمينا مخلصا حتى الموت ،

وانجيليا كان انجيله أول بشارة مفرحة خرجت أخبارها للعالم ، وأول رسالة مكتوبة تسلمها أباؤنا الأولون عن ابن الله.

وهذه هى روح المسيحية ، النعمة العظيمة التى يسوع صارت ! روح الايمان المجيد ، وهذا ليس منكم بل هو عطية الله . ليس مرقس ، بل النعمة التى ولدته الولادة الجديدة ، ليس برهان العلم والعقل والمنطق ، بل قوة النعمة التى تجدد القلب وتنقى النفس وتخلق الانسان الجديد ليكون شريك الطبيعة الالهية . وهكذا تشددت اليدان المسترخيتان ، وقومت الركب المخلعة ، وقدم ابن الله للخليقة مرقس البشير ، المفرز من بطن أمه لاستنارة العالم بنور الانجيل .!

+ + +

وكانت حياة الكاروز مجاهدة حسنة ، مع عوامل كثيرة واجهته وهو بشر تحت الآلام مثلنا ! وإذا ألقينا النور على أركان حياته كما دونتها الأسفار والرسائل ، لمسنا اشعاعا من الجمال أراد الله أن يبرزه لنا ، لنذكر انسانا بشرنا بكلمة الحياة ونتمثل بايمانه ونتعظ بنهاية سيرته !

جاهد مرقس الكاروز ، لأجل انجيله الذى وصلت بشارته إلى المشارق والمغارب ، بدايته انجيل يسوع المسيح ابن الله ،

ونهايته آمين . والذين ينادون بالانجيل من الانجيل يعيشون ، ويقتاتون بخبز سماوى باق للحياة . ولأجل هذا الانجيل استعبد نفسه للجميع ، كى يربح الأكثرين . ليس يونانى ولا رومانى ولا مصرى ، ليس ختان ولا غرلة ، ليس غنى أو فقير ، عبد أو حر ، بل انجيل واحد وايمان واحد ورب واحد يكرز به فى للعالم أجمع للخلاص . لأجل الانجيل عاش مرقس وجاهد ، ورقد ! فكان جزءا من روحه وقلبه ، وشعاره « خير لى أن أموت من أن يعطل أحد فخرى » . . كل هذه المجاهدة ، كى يكون شريكا فى الانجيل ، وقد كان !

وقد جاهد مرقس للكاروز جهاد جندى صالح للمسيح . كى يرضى من جنده . . لم يتجند بنفقة نفسه لنفسه ، بل ليرضى من جنده . ترك أمواله ليكون له فى السماويات مال أفضل ، حيث لا يفسد سوس ولا صدأ ولا ينقب سارقون. ترك أبا وأما ، اخوة وأخوات ليصير أخا للمؤمنين فى كنيسة الله عمود الحق وقاعدته ! افتقر كى يغنى بفقرة الكثيرين ، بغنى المسيح الذى لا يستقصى .

كجندى صالح حمل ترس الايمان ، ولبس خوذة

الخلاص ، وتمنطق بالحق ، ورفع الكلمة الحية الفعالة التى هدمت الحصون ، مثل سيف ذى حدين خارق إلى أعماق النفس . تلك هى حصون الوثنية الرومانية التى تملكت العالم القديم ، وغزاها الجندى الأمين وكانت تخضع له حيثما تنقل فى اليهودية وآسيا وسواحل أفريقيا الطويلة ، ومن المغرب إلى هذه الأرض التى نقيم عليها الآن .

وكان جهاد الجندى ضد الوثنية القديمة ، شاقا ومجيدا . جهاد الروحيات ضد الماديات ، ملكوت السماوات أمام ممالك الأرض وامبراطورية هائلة ملكت المشارق والمغارب . كان انجيل الخلاص يواجه أناجيل ساقطة تنادى بعبادة المخلوق دون الخالق ، وابدال مجد الله الذى لا يفنى بصورة الانسان الفانية . وهكذا استنارت الخليقة المظلمة بنور الانجيل الساطع ، بعدما استعبدت لذهن مرفوض وسبى فلسفات ضالة .

† † †

وعاش مرقس الكاروز حياة الغرباء على الأرض ، جال متغربا بلا وطن ! لم تكن له مدينة باقية ، اذ كان يطلب العتيدة والوطن الأفضل السماوى . وفى مجاهدته كمبشر حفيت نعاله بين اليهودية وآسيا القديمة وايطاليا وسواحل افريقيا ،

ومصر ، فى سياحة عظيمة لا نهائية ، انتهت بارتحاله إلى أحضان ابراهيم واسحق ويعقوب !

تعلم الألم والضيق ، وكابد الاضطهاد والضنك . فى الأسفار ، فى أخطار طريق ، ولصوص ، اخـوة كذبة ، والضيقات والاضطهادات فوق كل طاقة ، مماتا طوال النهار . فقد كان يدرك أنه وهب لنا فى المسيح الايمان مع الآلام ، وانه فى هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذى أحبنا !

ومرقس الكاروز قد جاهد أيضا جهاد التلميذ ، وصفة التلمذة العظيمة هى الطاعة . تعلم الطاعة فى الخدمة وهو شاب بين يدى برنابا الرسول ، وفى الخدمة بين يدى بولس الرسول الذى ذكره مع أسماء قلائل ، بقوا مخلصين له حتى النهاية وهو طريح السجن فى القيود . فذكره لتيموثا وس قائلا « احضر مرقس معك لأنه نافع لى للخدمة » . وتعلم الطاعة فى الخدمة تحت قدمى بطرس الرسول ، الذى أحبه محبة غالية فدعاه فى رسائله « مرقس ابنى » .

وأخيرا كانت مجاهدة مرقس الكاروز ، حتى إلى الدم . فى هذه البقاع التى نعيش عليها ، كانت تقوم حضارة وثنية

باطشة ، تسندها قوة الشر فى عالم القياصرة القديم . ولم يكن ممكنا أن يملك البر مع الاثم ، المسيح مع بليعال ، والنور مع الظلمة . فقام الرؤساء ، وتآمر سلاطين وأصنام الهياكل ، لهلاك رجل طاهر مثل الملائكة ، ومقاومة انجيل غزا قلوب الناس .

وكانت ساعتهم وسلطان الظلمة ، حين أوثقوه وجروه فى شوارع الاسكندرية ، وليس التلميذ بأفضل من معلمه ! وفى هزء وسخرية وعار اختلط اللحم بالدم بالطريق فى جراحاته ، وتمررت نفسه وتجرع كأس الآلام كاملة . وعبرت حياته أمام عينيه فى ساعة انتصاره كبخار يتلاشى ! الشاب الذى حمل جرة الماء ، الشاب الذى ترك الأزار وهرب عاريا ، يوم الروح القدس ، السياحة الطويلة مع برنابا وبولس وبطرس ثم سياحته الأخيرة إلى هذه البلاد ، والانجيل الذى رسم حروفه بأصابعه .

وهتف المجاهد المنتصر « من سيفصلنى عن محبة المسيح ؟ شدة ، ضيق ، سيف ، عرى ، جوع ، عطش ، آلام حاضرة أم مستقبلة ؟ ، ان آلام الزمان الحاضرة لا تقاس بالمجد العتيد . . » ثم انحنى ليوضع الاكليل على رأسه الطاهرة ، وانطلقت نفسه لتكون مع المسيح ، هذا أفضل جدا ! الخاتمة المجيدة للسياحة العظيمة إلى أورشليم السمائية .

من منكم كان يعثر ومرقس لا يعثر ، من يضعف وهو لا يلتهب ؟ . لم تجاهدوا بعد إلى الدم ، أما هو فحسب دماه رخيصة لاجل اسم الرب. « جاهدت الجهاد الحسن ، أكملت السعى ، حفظت الايمان ، وأخيرا قد وضع لى أكليل البر الذى يهبه لى فى ذلك اليوم الرب الديان العادل ، وليس لى فقط بل لجميع الذين يحبون ظهوره أيضا » .

وأخشى أن يذكرنا ذلك القديس اليوم ، بأسف ولوعة . فأن جهاده كان لأجلى ولأجلك ، رعى الرعية ليشرب من ابن الرعية ، وغرس الكرم ليأكل من ثمر الكرم ، زرع الزارع على الرجاء ليحصد فينا ثلاثين وستين ومائة !

فارحموا أنفسكم يا أقباط مصر ! ولا تفسدوا الزرع الذى زرعه ، والمجاهدة التى اكتوى بها ، والدم الذى اغتسل فيه ! بل قدموا له الثمر المتكاثر ، اللبن العديم الغش ، عصير الكرمة التى وهب حياته لها ، لئلا نحزن روحه المجيدة فى خلودة ، ونصير بعد عارا .

اليوم أن سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم . اذكروا مرشدكم وكاروزكم ، الذى بشركم بكلمة الحياة تمثلوا به ، وأنظروا إلى نهاية سيرته ، عسى الله يقبل شفاعته عنا كل حين ، آمين .

إقبلونى حتى كقاضى الظلم !

« ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل »*

هذا الجيل لا يمارس الصلاة ، لأنه لا يؤمن بفاعليتها . أقول هذا وفى الأفكار بلبلة ، لا يعلم مداها سوى الخالق وحده . فقد دخلت إلى الكنيسة المنظورة مباحثات وتعاليم غريبة عليها ، لها صبغة التطور العالمى ، ولم تكن قط من تعاليم رب الكنيسة حين ترك رسالته لتلاميذه. تلك الرسالة عينها التى هى فى غنى عن كل تطور وزيادة أو نقصان وظل دوران ! فى الوقت الذى يتحدث فيه رجالات الاصلاح ، حتى بالسنة وأسماء مسيحية لسنا نسمع كثيرا عن الصلاة لأجل الاصلاح الكنسى العميق !

نحن نترك حكمة الله ، لنثبت حكمة أنفسنا . نتخلى عن موارد المياه إلى الآبار المشققة التى لا تضبط ماء ، وإلى الغيوم الجافة التى لا تمطر ، وإلى خبز بائد لا شبع فيه . وان مجتمعا يدعى أنه مسيحى ولا يمارس الصلاة ، يكون محروما من أول

* انجيل القديس لوقا ١٨ : ١ » .

أصول المسيحية الأصلية، كمدينة لا حارس لها ولا أسوار. فاسمعوا اذن الرب ولا تضلوا « ينبغى أن يصلى كل حين ولا يمل » .

هذا هو حجر الزاوية فى بناء كنيسة المؤمنين . صلاة مستمرة ، صلاة نارية ، صلاة فردية واجتماعية . صلوات خاصة وعامة ، ليلا ونهارا، فى وقت مناسب وغير مناسب. ترفعها بالروح والحق ، بلجاجه واصرار ، بعبارات منطوق بها وبأنات خفية يشفع فيها الروح ! وكما قال القديس بولس « لاتكونوا مهتمين بشىء إلا بالصلاة مع الشكر ، كى تعلم طلباتكم لدى الرب يسوع » :

وموضوع تأملنا هو المثل الالهى الذى أعطاه لنا الرب يسوع ، مليئا بالتعزية غنيا بالسلام العميق ، فى قصة انصاف قاضى الظلم للأرملة المسكينة .

أيها الرب سيدنا ، عجيب كيف تحتمل غلاظة رقابنا وصلابة قلوبنا وانهيار ايماننا ! وتضع ذاتك موضع قاضى الظلم الذى انصف لجاجة الأرملة ، فتقول لنا ، أقبلونى .. ولوكقاضى الظلم ! بينما أنت الذى يقول فيك صاحب المزمور «أحببت البر وأبغضت الظلم ، لذلك مسحك الله بزيت الابتهاج

قضيب استقامة قضيب ملكك » . « تذكـــــر المسكين تقضى للمحتاج ، تجرى الخبز للجياع ، وتنصف الأرملة وتغيث اليتيم » .

وقد أنصف قاضى الأرملة ، قضيتها ، من خصوم أشداء يأكلون بيوت الأرامل . وكانت أسوأ منا حالا ، فقيرة معدمة غريبة مجهولة ، بلا عون وبلا وسيط . أما انتم فلستم عنه غرباء ! بل سفراء ، وأولاد ، وكهنة ، ومختارون ، وأولاد الملكوت والموعد ، أبناء للنور وشركاء للطبيعة الالهية . ويعوزنى الوقت لأخبركم بالألقاب المجيدة والامتيازات الغنية التى منه ، والأسماء التى ارتبطنا بها معـه حتى النفس الأخير. ولكن الكثيرين يتجاهلون امتيازهم واسماءهم سهوا أو عمدا، فى أيام لا يوجد فيها كثيرا ايمان ربنا يسوع على الأرض .

† † †

وينتقل المثل إلى اللجاجة والاصرار ، صراخ الأرملة بالليل والنهار ، ابتهال وطلبه وسؤال ، ان « انصفنى من خصمى » . وهكذا كان ايليا ، سبع مرات يصرخ إليه ، ان تمطر سماؤه . وبولس ثلاث مرات يتضرع بالحاح ، ان

تفارقه شوكة جسده . والكنيسة الأولى رفعت صلواتها بلجاجة من أجل بطرس وهو فى السجن .

بل حتى الرب يسوع نفسه بدموع وصراخ وطلبات ، بعرق ودم ، بمجاهدة ولجاجه عظيمة. ثلاث مرات وهو جاث على ركبتيه فى الخشيماني ، بانات لا ينطق بها ، من أجل عبور الكأس .

أقول هذا لتخجيلكم ، لأننا لا نصر على الصلاة ولا نداوم على الطلبة . مع أننا لا نضطهد فى هذه الأيام لأجل الصلاة ، كما كان الأولون يضطهدون ويعذبون . فكلنا يعرف أن علانية دانيال فى الصلاة لربه ، تسببت فى القائه إلى الأسود الكاسرة . أما نحن فلا نصلى بلجاجة أو بدون لجاجه! هناك تعليم آخر لا ينادى بالصلاة ، يتزعمه الذين لا يصلون . فتور شامل بلا ايمان ، خطية رابضة عند باب القلب ، تخرس اللسان عن عبارات للصلاة .

وقد كان انصاف قاضى الأرملة بعد امهال ، والفارق متسع بين الامهال والاهمال . فلنحسب اذن اناة ربنا وامهاله ، خلاصا . فهو لا يهمل كقول الجهال وغير العارفين ، بل حتم كل شيء بالمواعيد والأزمنة والساعات ، حسب علمه

السابق ومشورته العميقة المختومة . أعد لكل أمر ساعته ، ليس بحكمة هذا الدهر التى تبطل ، بل بحكمة الله الكاملة بين الكاملين .

قد تبدو أمامنا ارادته ، أحيانا غامضة ومستترة ، وننظر إليها كما إلى لغز محير . قد نعرفها بعض المعرفة ، أو نجلهلها بعض الجهل ، ولن نتوصل إلى عمقها طالما نحن نلبس جسد الضعف والهوان . ولكننا سنعرفها كل المعرفة يوم نخلع هذا الجسد ، وحين نرفع البرقع عن قلوبنا لنأتى إلى مناظر الرب واعلاناته وجها لوجه !

† † †

وعلى أى حال ، فان الله ينصف الصلاة حتما بعد لجاجة وامهال . وليست هناك صلاة بالروح وبالحق ، ولا تستجاب . ولى تأمل رقيق فى هذا الانصاف ، فقد تكون الاستجابة الصلاة حرفية ، ولكن هناك أيضا استجابة وانصاف بالروح أفضل من كل حرف .

كانت هناك استجابة حرفية لصلاة ايليا النبي القديم العظيم ، حين أمطرت السماء بصلاته النارية ، بعد ما كانت اغلقت ثلاث سنين وستة أشهر . وكانت هناك استجابة

حرفية لصلوات النساء القديسات قديما ، ساره ورفقه وحنه واليصابات . فان الصلاة فتحت البطون العواقر التى لم تلد ، فانجبن أولاد الموعد، اسحاق ويعقوب وصموئيل ويوحنا المعمدان ! وكانت هناك استجابة حرفية لصلاة الكنيسة المسيحية الأولى بلجاجة من أجل بطرس وهو نزيل السجن فى القيود ، فانفتحت الأبواب الحديدية المغلقة وهوت القيود الثقيلة أمام ملاك الرب ، وخرج بطرس عائدا لاحضان الكنيسة .

ولكن الله لم يستجب حرفيا لموسى ، ولبولس . فموسى كبير الأنبياء وصاحب الاشتراع ، يطلب بلجاجة أن يجتاز الأردن إلى كنعان الموعودة . ولكن ماذا يقول له الصوت الالهى ؟ « لا تعود تكلمنى فى هذا الأمر » . ومات موسى دون أن يفقد بصره ولازالت على وجهه نضارته ، ولكن بقى على ضفاف الأردن الشرقية لم يدخل راحة كنعان .

غير أن الانصاف الروحى العجيب حدث خارج الجسد ، وبعد أجيال طويلة ! فقد ظهر موسى مع ايليا إلى جوار الرب يسوع ، على قمة الجبل المقدس فى اليهودية ! وهكذا استجاب الله طلبه موسى بامتياز عجيب اختصه به

وايليا النبى ، مع المسيح فى مجده متجليا . وفى كنعان الأرضية مثال السماوية راحة المؤمنين إلى الأبد .

وكانت شوكة بولس فى جسده ، تضنيه وتعذبه ، ولم تفارقه وجاءه الصوت الالهى الصريح بأن ستبقى الشوكة ، كى يحمل فى جسده سمات الرب يسوع ! ثم جاء الانصاف لصلواته ، امتيازا روحيا غنيا ، فقد أعطاه الله قوة فاضت ، ونعمة تكفيه . لم يرفع عنه الشوكة من الجسد . ولكن سكب عليه نعمة وقوة ليتزكى اناؤه المختار ، ويتألق مجده بين القديسين !

على أن أعمق استجابة روحية لصلاة كانت فى بستان الجثسيمانى . حيث يقول الكتاب عن رب المجد أنه سمع له من أجل تقواه . ارسل إليه ملاك من السماء يقويه ، ليشدد نفسه الحزينة ، وجسده الحانى على الأرض القاتله ! ليدوس آلامه ويشرب كأسه ويتذوق ألم الموت بالصليب موتا واحدا وصليبا واحدا . فيفتدى بهذا خطايا كل انسان ، عاملا الصلح عهدا أبديا بدم صليبه ، وليقوم فى الثالث ناقضا أوجاع الموت ، ليملك فى يمين العظمة ويجعل اعداءه تحت موطىء قدميه .

ختام الأمر كله ، ان الصلاة ، هى غريزة المسيحية الأولى.

الألف والياء ، بداية ونهاية كل اصلاح وتجديد . وأى طريق سواها لا ينفع شيئا ، كمثل أطعمه لم ينتفع منها الذين تعاطوها.

فلعل الضرر البالغ الذى نتعثر فيه بجهالتنا وفلسفتنا العالمية ، يدفعنا إلى طلب بركات الصلاة ونعمة الانصاف الالهى . فنحرس بهذا خيمتنا الأرضية ، نبنى أسوارنا ولا نكون بعد عارا .

الوثن الجديد

« احفظوا انفسكم من الأصنام » *

الوصية الأولى العظمى فى الناموس صريحه ، « اسمع يا اسرائيل ، الرب الهك رب واحد . لا تكن لك آلهة أخرى أمامى » . لتحبه من كل قوتك وقدرتك وفكرك ، حبا خالصا لا يشاركه فيه شريك ! ومن يجب فى الوجود شيئا أكثر منه ومن يعبد سيدا آخر تحت الشمس ، فهو حتما ينقض الحروف الكبيرة للوصية الأولى . ولا تخفف من وطأته معاذير ، فاما أن يملك يسوع أولا يملك ، وله وحده تسجد واياه وحده تعبد ، أو يمضى يسوع إلى قلب آخر يقبله !

والجيل الذى نعيش فيه ، يحب المال حبا يستحوذ عليه كل اهتمامه . ويتكل على المال بطريقة معقدة ، حتى يمكن القول بأن التفكير البشرى قد تحول بأسره نحو آلهة أخرى ، مرتفعة أصنامها من الذهب والنقد ! اهتمام واحد واضطراب

---

* رسالة القديس يوحنا الأولى ٥ : ٢١ .

كثير بسببه ، وانه لتفكير مشين يسىء إلى النعمة المسيحية .

وليس المال فى حد ذاته شرا ، فهووسيلة للحياة البشرية . ولكن الوسيلة قد تتطور إلى غاية وهدف ، وحينئذ تتغير الأمور والعواقب . يحدث ارتداد مشين عن النعمة ، وتغيير شامل فى المبادىء والمثل ، وانحراف فى المعاشرات والأخلاق. ويكون ضلال عن ايمان الروح ، وأوجاع كثيرة ، فتور فى المحبة والعواطف الفاضلة ، ثم تجارب وفخ وشهوات مغرقة فى العطب والهلاك .

وقديما قلب المسيح موائد الصيارفة وتجار التقوى ، لأن بيت الله استحال إلى بيت تجارى للأموال . وقال الرسل ايضا انه ليس حسنا أن يخدم رجال الله موائد !

ومن هم الذين يترددون على الكنائس واجتماعات العبادة . ويشتركون فى الصلوات والصدقات ويتقدمون إلى شركة جسد الرب ودمه ، ويشهدون ليسوع بدمائهم ؟لا أرى بينهم أحدا من السادة المتكلين على أموالهم ، فانهم لا يشعرون بحب حقيقى لهذا المكان المقدس ، ولا يؤمنون بنظرية المجازاة المسيحية . لا يؤمنون بالكنز المحفوظ فى السموات ، ولا

يعتقدون فى مسألة مرور الجمل من ثقب الابرة .

كان بين أتباع المسيح رجال ونساء من ذوى الأموال والثراء ، ولكنهم حينما واجهوا تعليمه الصريح « اذهب بع كل أموالك وأعط للفقراء وتعال اتبعنى » ألقوا أموالهم وباعوا أملاكهم بالاختيار والسرور . ألقوا أموالهم وباعوا أملاكهم حاسبين عاره غنى أفضل من كل خزائن المال ، عالمين أن لهم كنزا محفوظا لا يضمحل أو يتلاشى فى السموات! وكان شعارهم « انى سيد أموالى . وليس المال سيدا لى . انى أهب مالى لأجل المسيح . ولا أضحى الرب لأجل مالى » ! فباعوا كل شىء . وألقوا أموالهم مشتركة تحت أقدام الرسل . هذا طراز من الرجال مثل برنابا ، ويوسف الذى من الرامة ، تلاميذ مخلصون لملكوت الله .

ومن الناحية الأخرى ، رجال ونساء كانت خسارتهم جسيمة . شاب يحفظ الوصايا منذ حداثته . يخسر الملكوت وهو منه قريب . ويمضى حزينا لأنه أحب أمواله الكثيرة أكثر من المسيح . وفريسيون وكهنة أغنياء محبون للمال ، أفسدوا هيكل الرب . عطلوا حياة الايمان وأكلوا بيوت

الأرامل والمساكين ! وتلميذ باع سيده بالفضة ، بثمن عبد، واخوة احتالوا على أخيهم البرىء ، وباعوه للاسماعيليين بعشرين من الفضة !

وحنانيا وسفيرة كذبا على الروح القدس ، من أجل خداع المال وعدم استقامة الضمير ! وعاخان ابن كرمى جلب على اسرائيل العار والانكسار أمام قرية عاى الصغيرة ، لأن نفسه اشتاقت إلى الذهب والفضة والغنائم خاسة !

وفى هذه الأيام يقف الوثن الكبير ، محبة المال ، يتحدى كنيسة الرب فى عناد واصرار . يجرب ، ويعثر ولو المختارين أيضا ، كى يتلف الايمان ويبرد العاطفة ويفلس الضمير. يخلق الشهوات والفخوخ والارتداد ، وفى النهاية يحمل معه أوجاعا كثيرة لعابديه .

« أما أنا وبيتى فنعبد الرب إلى مدى الأيام » .

ذرة من الغضب الإلهى

« اذ رمد مدينتى سدوم وعمورة ، حكم عليها بالانقلاب واضعا عبرة للعتيدين أن يفجروا » . *

فى هذا الوقت العصيب ، حينما يسود البشر توتر وقلق واضطراب ، ويطغى خوف عظيم . حين يفكر الناس فى الهلاك الفظيع الذى قد تتسبب عنه حرب أخرى بالذرة والصاروخ ، هذه الطاقة الهائلة التى قد تحمل من الدمار معها ما يكفى للقضاء على الحضارة الانسانية بأسرها وفناء الشعوب والأمم ، أقول .. فى هذه الأيام العصيبة . قل وجود من يقلب فصول سفر التكوين التى خطت صفحات التاريخ البشرى الأولى. ليطلع على صورة من الغضب والشدة والسخط حلت بقوم عصاة أثمة . فأحالتهم وحضارتهم إلى الرماد والهشيم .

وتلك كانت ذرة من الغضب الالهى ! !

وليت الذين يخافون غضب الانسان ، يتأملون ولو لحظة

---

* رسالة القديس بطرس الثانية ٢ : ٦ .

واحدة فى غضب الله ، فان الحاجة الملحة اليوم هى أن نتعلم مخافة الله ، ونؤمن بالنار التى تأكل حينما يغضب ، مثلما حلت بسدوم وعمورة فى لمسة من الغضب الالهى .

وعالمنا بصورته الحاضرة يبدو أبشع بكثير من هيئته القديمة فى سدوم ! ويبدو لكل المسيحيين بوضوح ، من خلال السحب القاتمة والنيران الملتهبة بالكبريت التى غطت ذلك السهل والدائرة المحترقة قديما ، أن مصير العالم الحاضر أشد هولا مما كان لسدوم وعمورة . فما أشبه الماضى بالحاضر ، وما أشبه الخاتمتين !

وقد يقول قائل ، ما لنا وهذا التاريخ الذى مضى إلى النسيان والقدم ؟ فأقول على الفور مع الرسول الحكيم ، ان « كل ما كتب كتب لتعليمنا » . فليس قديم ولا جديد ، بل هو تعليم واحد وهدف واحد . ولا تغيير فى اى أفكـــار الله أو ظل دوران فى مقاصده ، لكونه أزلى وأبدى فوق الأيام والسنين ، وأعظم من الأزمنة والدهور . ولنتعلم كقول للرب أن نفتش الكتب لأن لنا فيها حياة ، « فانه لا يمكن أن ينقض المكتوب » .

† † †

كان ابراهيم بارا أمام الله فى أيامه ، وكذلك كان لوط . ووقف الرجلان على جبل ايل وقال ابراهيم لقريبه « هوذا كل الأرض أمامك » ، ليختار لوط أولا نصيبه فيها . وكان اختيار كل من الرجلين حاسما فى تاريخها ، وفيه درس بليغ لما ترتب عليه من أمور على درجة كبيرة من الأهمية .

نظر أبراهيم إلى الشرق والغرب ، والسهل العظيم يمتد تحت قدميه ، ولكنه لم يكن ينظر بعينية أو ببصره ومداركه . بل تطلع من بعيد إلى مواعيد الله ، وصدقها ، وآمن بها إيمانا مجيدا لا يحيد عنه . وبهذه الروح الطيبة العظيمة التى تنظر الروحيات وتجوز إلى ذات الله وأعماقه ، اختار أن يعيش طوال أيامه متغربا فى الخيام ، مثل غريب ونزيل فى الأرض . فدعاه الله لوقته « أبا للايمان » لليهود والأمميين على السواء ، ممن يجيئون من المشارق والمغارب إلى أحضانه .

ونظر لوط أيضا ، ويا ليته ما نظر ! !

نظر بعينيه ، واشتهى بفكره وخياله . رأى السهل وحضارته . رجاله ونساءه ، مجتمعه ومدنيته ، منازله وبهاءه وثراءه ومباهجه .

وإذا ساد العيان ، ضعفت روح الايمان ! فاشتهى لوط سدوم ، وتاقت نفسه إلى عمورة . وضع فى قلبه أن يختار السكن

والمعيشة بين أهلها ، فيبنى لنفسه بيتا له ولبنيه . وكان يحلم بالسعادة بين سكان تلك الجهة ، وبالغنى والثروة والبنين والرزق والاستقرار . ونسى كل شيء آخر ، نسى بره ، ونسى المواعيد لأنه قد أحب العالم الحاضر .

وهكذا افترق الرجلان ، واحد سلك بالايمان والآخر بالعيان . واحد أقرانه غريب فى الأرض ، والآخر أحب العالم والأشياء التى فى العالم . واحد طلب وطنا باقيا فى السمويات ، والآخر وجد فى سدوم وفى عمورة موطنه !

† † †

وانتقل ابراهيم من غربة إلى غربة ، من مجد إلى مجد ، من تطويب إلى تزكية ، ومن خفة ضيقة وقتية إلى ثقل مجد أبدى. ونال المواعيد العظمى والثمينة الواحد تلو الآخر ، حتى دعى لله خليلا .

ورأى ابراهيم يوم الله فى ضيافة رائعة ، ساعة غروب الشمس فى بلوطات ممرا ، حينما نزل الرب ضيفا عند ابراهيم وأعلن له سر التثليث. ورأى يوم يسوع المسيح فى الجسد ، فابتهجت نفسه وفرحت بتهليل ، وآمن بسر التقوى مقدما !

وفى ذلك اليوم أيضا ، نال ابراهيم ميعاد اسحق ابن الموعد.

ومال الرب مع ابراهيم إلى الجبل ، يتحادثان فى محبة ، ودارت محاورة بين الرجل والهه كلها رقة ولطف . صارح الرب خليله بما فى قلبه « هل أخفى عن عبدى ما أنا فاعله » ؟ فالله لا يخفى أسراره عن أحبائه ، وإذا أخفاها عن الحكماء والفهماء ، فقد أعلنها الجهال . للاطفال والرضع . وكما قال السيد له المجد لتلاميذه يوما « لست أدعوكم بعد عبيدا بل أحباء . . . لأنى أعلمتكم بكل ما عند الآب » .

وحدث الرب ابراهيم عن سدوم وعمورة ، ان صراخها صعد اليه فمن هذه الحضارة القديمة أرتفعت خطايا شنيعة وآثام بشعة ، ورذيلة قبيحة وسفالة للازدراء . يا لعار الأرض التى تتجاهل صوت خطاياها ، وصراخ آثامها يصم آذان الملائكة والقديسين والأبرار فى السماء . نعم فان للخطايا صوتا بشعا فى آذان رب للسموات ، صراخ وتحيب قبيح ضد ترتيلات الملائكة العذبة وأناشيد الأبرار !

وإذا علم سكان سدوم وعمورة بأن الذين يفعلون هذه القبائح يستوجبون الموت ، لم يفعلوها فقط بل سروا وفرحوا

بالقبح الذى فعلوه ! ولما كانت الخطية خاطئة جدا ، وكان صداها كثيبا فى أسماع الله ، ولما كانت عدالته صفة أساسية من صفات ذاته ، فالرحمة لا تنفى العدل ، والمحبة لا تلغى القصاص ، لذلك نظر الرب وقال « انزل وأرى هل فعلوا بالتمام ، وإلا فاعلم » .

† † †

لا يتباطأ الرب كما يظن قوم التباطؤ ، بل هو يتأنى . ليس تعالى بشرا يفكر بمنطق البشر ، ولا يقيس بلغة الأيام والسنين ، لأنه ما التاريخ وهو صانعه ، أو الدهور وهى عابرة كظل أمامه ؟ يوم عنده مثل ألف سنة ، وألف سنة مثل يوم واحـــد !

فليتهاون المتهاونون ممن يقولون « أين هو موعد مجيئه » ؟ أما نحن فلنحسب أناته ولطفه وامهاله خلاصا كقول الرسول. فانه يريد أن يقبل الجميـــع إلى التوبة ، وإلى معرفة ربنـــا ومخلصنا يسوع المسيح . وقد حتم بالأزمنة المواعيد كل شىء. أرسل الطوفان ، حين عصت الأرض القديمة عصيانا لا شفاء منه إلا بالماء . وقال أنزل وأرى ، حينما ازدادت الأرض

صراخا وعويلا بخطايا سدوم ومعاصى عمورة .

احتمل مقاومة الخطأة لنفسه أجيالا طويلة ، إلى أن أتت الساعة وحل ملء الزمان أخيرا ، فأرسل أبنه الحبيب لينزل ويرى ، ليصلب ويخلص .

فلا تضلوا يا أخوتى .. لا يتباطأ الله، لا يهمل ولا يتغاضى عن الرذيلة . لا يحابى ، لأنه يوما ما لم يشفق على الأغصان الطبيعية ، على شعب اسرائيل البكر . فهوذا لطـــف الله وصرامته ، اللطف لك ان ثبت فى اللطف ، والصرامة للمعصية ولا شفقة . وحين توضع النأس على أصل الشجرة ، فكل شجرة لا تصنع ثمرا جيدا تقطع وتلقى فى النار .

وأعود إلى لوط وعائلته . . أصبحت حياته وسط سدوم درسا بالغ الأهمية ، وتعليما صريحا لنا بالتحفظ لأنفسنا من العالم ومن الأمور التى فى العالم . كان هذا البار يعذب نفسه البارة يوما فيوما بالنظر السمع وهو ساكن بينهم ، بأفعالهم الأثيمة «مغلوبا من سيرة الأردياء فى الدعارة » .

وعذاب النفس البارة بأفعال أثيمة ، وهزيمتها بالسير الرديئة ، كانا حصاد لوط الوحيد ، فى سدوم ! وهذه هى

النتيجة المحتومة للذين يحبون العالم ويؤمنون بمبادئه . أيها العزيز لقد قالها القدماء كلمة صريحة « المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الجيدة » ، وأن الخميرة الفاسدة الصغيرة ، تفسد العجين كله .

ومحنة الكنيسة اليوم واضحة ، حيثما تكون أية محاولة فاشلة للتحالف بين كنيسة المسيح وعالم موضوع فى الشرير ! محاولة للتوفيق والانسجام بين القلب والرب ، بين الجسد والروح ، الايمان والعيان ! لا يستطيع أحد أن يعبد اثنين ، أو يعيش بقلبين ، أو يسلك فى طريقين. فلتجمع اذن أو تفرق، تكون مع المسيح أو عليه . تختار كنعان أو سدوم ، تبقى إلى جوار بولس الرسول أو تمضى مع ديماس « الذى أحب العالم الحاضر » ، مغلوبا على أمره .

+ + +

ودارت مناقشة بين ابراهيم البار وضيفه الالهى ، لها أهمية قصوى ، فانها تكشف لنا بجلاء عن أمور تخص ذات الله وطبيعته وصفاته ، وما أحوجنا اليوم إلى قليل من هذا الفهم!

كان الله يتحدث مع مضيفه الشيخ البار ، وفى صداقة وتآلف عبر ابراهيم عما فى قلبه من رجاء . وبنفس هذه الروح

المتواضعة التى تثير أعظم درجات الأعجاب والحب والولاء فى نفسى ، كان الضيف الالهى ذو الجلال يجاوب خليله الحبيب.

تكلم ابراهيم وفى وجهه لهفة وفى قلبه أسى وخوف ، إذ رأى علامات الغضب تبدو بوضوح فوق سدوم وعمورة وسائر مدن السهل الخاطئة. وكان يذكر لوط واسرته واصهاره هناك، فاعتصر الحب قلبه وملأته الشفقة فقال الرب « حاشاك يارب ، أفتأخذ البار مع الأثيم » ؟

وحاشا أن يكون الله ظالما ، فأنه لا يأخذ البار مع الأثيم بل كل واحد سيحمل حمل نفسه ولا محاباة ، وليس هناك مخلوق يدان باثم أبيه وأمه . ولا يحتسب الله ذنوب الآباء فى الأبناء إلا فى أولئك الذين يبغضونه ، حيث الشجرة الردية لا تعطى إلا ثمرا رديئا ، وحيث افتقاد ذنوب الأشرار إلى الجيل الثالث والرابع . وحوار الرب مع ابراهيم يثبت صحة هذا التعليم ، فلم يدر فى فكر الله لحظة واحدة أن يأخذ لوطا بالغضب الذى كان عتيدا أن يحل على الأثمة ، مع كون لوط قد أصبح مغلوبا على أمره من سيرة الأردياء .

وتشفع ابراهيم الطيب القلب عن سدوم وعمورة ، ليمنع

قصاصا من الوقوع ويحجز الكارثة ، وكان يحاول أن يقنع الله بمنطق سائر البشر ! ! ولكنها المعصية التى استفحلت ، والخطيئة التى ازدادت وسادت ، قبيحة للغاية ، خاطئة للغاية ومدانة للغاية أيضا . فعدالته فى رحمته وقصاصه فى محبته !

لم يوجد أربعون بارا لأجل خلاصك يا سدوم ، أو نجاتك يا عمورة ! ولا ثلاثون أوعشرون ، أو حتى عشرة ! ولو تجاسر ابراهيم أكثر وقال « اتهلك يارب لو وجد خمسة من الأبرار » ؟ لقال الرب « لا أهلك من أجل الخمسة » . وأسفاه سهل عظيم بأسره ومدن عظمى ، لم تكن فيها هذ القلة من الأبرار يشفعون للنجاة ! !

وقد كان لهذه المحاورة معنى أيضا ، فواضح منها أن شفاعة أولاد الله مقتدرة فى فعلها ، وان صلواتهم تستر كثرة من الخطايا. وليت أهل العالم يدركون قيمة أمثال أولئك الابرار الخمسة أو العشرة ، الأقلية الضئيلة التى أبقاها الله لنفسه ، أمينة له فى شهادتها وفى طهارتها ، لاتحنى أرجلها للبعل أو تجثو إلا ليسوع وحده ربا . فانه من أجل مثل أولئك الله يرحم ومن أجلهم تطول اناته فيحتمل مقاومة لنفسه بهذا القدر ، من عالم موضوع فى الشرير سائر وراء الهة أخرى

غريبة .

هؤلاءهم نور العالم ، هم ملح الأرض ! فاذا لم يوجد ذلك النور وإذا فسد هذا الملح ، فحينئذ مبتدأ الويلات والأوجاع ، حين تكون حالة سدوم وعمورة أكثر احتمالا ! !

+ + +

وينتقل المشهد بسرعة خاطفة من بلوطات ممرا ، إلى سدوم . كان لوط جالسا على عتبة البيت حينما وقف به الملا كان ، وأنصت فى ذهول وصمت إلى الانذار الالهى الصريح وبدون مقدمات « قم كلم بناتك وأصهارك . أننا مهلكان هذا المكان . . أهرب لحياتك » واجتاز لوط عتبة داره مهرولا مضطربا ، بأفكار كثيرة فى ذهنه ، وكلم بناته وأصهاره أن يخرجوا معه فى المكان . فكان « كمازح فى عين أصهاره » !

ياللجهالة . . ألعل الله انسانا فيمزح ؟ الويل لقوم يظنون الله ما زحا ، ولمجتمع لا يؤمن بالله ، وبكلمته ! والويل لعالم مغرور مرتد لا يؤمن بالمجازاة والدينونة والقصاص ، أعماه سباته العميق عن أن ينظر سحائب الغضب تتجمع فى سمائه ! فلا تنعس يا عزيزى والوقت يدعى نهار ، ولا تمزح

وتتوانى فالأيام شريرة ، وزوال السموات والأرض أيسر من سقوط حرف واحد من عبارات الله .

وبانتهاء هذه الليلة المضطربة لاح الفجر ! وبينما الملاكان يعجلان لوطا بالخروج لأجل حياته ، كان الشعب الواقف بالباب يتمادى فى الفجور والنجاسة ! بل أن لوطا نفسه ، يذكر عنه كاتب سفر التكوين أنه « توانى » ! كيف يترك كفاح العمر وثمر الرجولة وآمال الجسد، بيوته وأمواله ، أراضيه ومواشيه ، أصحابه وفردوسه الصغير ، ويمضى صفر اليدين إلى مستقبل مجهول ؟ فأمسك الملاكان بيده « لشفقة الرب عليه وأخرجاه ووضعاه خارج المدينة . . ولما اشرقت الشمس أمطر الرب على سدوم وعمورة كبريتا ونارا ، من عند الرب فى السماء » .

وكما كتب القديس بطرس ، ان الرب عندما رمد سدوم وعمورة قد وضع عبرة للعتيدين أن يفجروا.

اذن من له اذنان للسمع فليسمع .

الوقت المقبول

« الرب قريب »*

الدعوه العليا هى الآن ، وبشرى الخلاص اليوم ، ولا مكان للغد فى الدعوة الالهية . الحياة ظل عابر ، بخار يضمحل ويتلاشى ، أو هى من خيوط العنكبوت .

الحياة هى الساعة ، هى الان ، هى اليوم . والصوت الرقيق يهمس فى أذنيك بأنواع وطرق كثيرة ، فى هذه الساعة الهادئة . والضيف الالهى المتواضع يجتاز عتبات بيتك ، ويقرع بابك مبشرا بالسلام والخيرات العتيدة .

اليوم عند مغيب الشمس ، ووقت العشاء ، وفى هزيع الليل ، ووقت صياح الديك !

ودعوته هى بلا ندامة ،فلا ترفضها أيها القلب الكسير . لا تتوانى ، بل قم واذهب الآن إلى سلوام لتغتسل . ثق ، قم هو يناديك لتبصر . لا تعاند الرؤيا السماوية ولا تستشر لحما ولا دما ، فاليوم خلاص عظيم مجيد يغزو قلبك ويأسر فكرك. اليوم ! ان سمعتم صوته فلا تقسوا قلوبكم ، كما فى

* رسالة القديس بولس لأهل فيلبى ٤ : ٥ .

الاسخاط يوم التجربة فى القفر ، حين جربه آباء اليهود واختبروه أربعين سنة واحزنوه ، فسقطت جثثهم فى القفر ولم يدخلوا إلى راحته .

لا تقل مع فيليكس الوالى ، وهو مرتعب من كلمة الايمان والتعفف والحياة الأبدية من بولس الرسول ، « اذهب الآن ومتى حصلت على وقت استدعيك » . واسفاه ! فانه لم يحصل على وقت آخر ! أضاع كلمة الحياة والخلود ، وهى قريبة منه فى فمه وفى قلبه ، توانى وجرفه تيار الحياة بمتاعبها وهمومها ولذاتها ، فلم يجد غدا ، وخسر نفسه !

ولا تقل مع الغنى أن أمامى خيرات كثيرة لسنوات كثيرة فرح وسرور وشبع وغنى ! فالموت الخاطف كان أسرع إليه من أفكاره ، حين جاءته العبارة التى لا رجوع فيها « الليلة تطلب نفسك . . فهذه كلها التى اعددتها لمن تكون ؟ »

وقد تطلبه يوما ، بدموع ، فلا تجده ! وزيت النعمة قد يفرغ من مصباح العبد الجاهل القائل « سيدى يبطىء قدومه » ! إذ يكون قد اجتاز ومضى ، جاء العريس وأغلق الباب » .

بل اليوم نقول مع الرسول بفرح « هوذا الآن وقت مقبول ، هوذا الآن يوم خلاص » آمين .

فهرس

الاهداء	٥
تقديم	٦
أجراس بيت لحم	٧
نبوات المجوس	١٠
يسوع مجربا	١٢
من الأعماق	١٩
سر البركة	٢٥
اتبعنى	٣٠
الخاطئة والحجارة	٣٦
الابن الضال	٤٢
أين هى عيونكم	٥٣
السامرية	٥٨
أعمى لمجد الله	٦٤
بكى يسوع	٧٢
أحب إلى المنتهى	٧٥
جرحت ياحبيبى	٧٩
ملك السلام	٨٤

الشاهد العجيب ٨٦
سارق السماء ٨٩
لماذا الموت ٩٦
خرستوس أنيستى ٩٩
مار مرقس ١٠٣
إقبلونى حتى كقاضى الظلم ١١١
الوثن الجديد ١١٩
ذرة من الغضب الالهى ١٢٣
الوقت المقبول ١٣٥

† † †